

إهداء:

إلى أبي .

وأحلم بالعيد معك !

من بعد آذان الفجر والقرآن لا يتوقف في مئذنة الجامع حتى تأت تكبيرات العيد .. الصوت يميل على نافذتهما الصغيرة .. هي نصف مستيقظة لأنها لم تتعود طوال عمرها كله أن تذهب في نوم عميق ليلة العيد .. وهو نائم .. وعلى وجهه سلام .. تعرف أنه حين يكون وديعا هكذا في نومه فإنه يحلم بها .. وإن كان لا يتذكر الأحلام ليحكىها لها ... فهي متيقنة من هذا .. تتأمل ملامحه طويلا .. بهدوء تام وفي قلبها حمد كثير لله لأنه منحها إياه .. تريد أن توقظه ليبدأ عيدها .. لتهمس له "أحبك" .. ليقبلها على وجنتيها كما اعتاد أبيها أن يفعل صباح كل عيد .. تفكر أنها لو مالت على أذنيه وهمست "أحبك" فسيسمعها في أحلامه .. وستكون أجمل بكثير لأنها ستتلاشى سريعا .. وسيستيقظ على الفور ليبحث عنها .. تفعل هذا .. ويحدث ما توقعته تماما .. يفتح عينيه ببطء .. يراها تنظر إليه بابتسامه .. يبتسم بدوره وهو ينطق : "كل سنة وانتي طيبة يا حبيبتي" .. يغمض عينيه مرة أخرى وهو يذنيها من صدره .. يضمها إليه .. يشعر بالسلام وهي في حضنه .. ينسى العالم والناس ويصبح فارغا من كل ما سواها .. ممتلئا بها تماما .. هي تعرف أنه يحلم بها من احساسه هذا .. من ملامحة الآمنه في العناق والنوم .. تبتعد عن صدره برفق .. وتقول وهي تقطب حاجبها بإصطناع : "إيه؟ .. مش هتقوم بقا .. العيد هيخلص " .. يذنيها منه مرة أخرى وهو يقول بكسل : "مممم بقا .. خلينا شوية" .. تهز رأسها بالنفي وهي تقول "لأ .. يلا .. هتقوم .. هتقوم" تنهض واقفة وتجذبه من يده .. وهو يتسمر في مكانه كما يفعل دائما ليثبت لها ضعفها ووهنها أمامه ... يغمض عينيه على نظرة نصر وهو يقول : "لو قدرتي .. قوميني" .. تشده بكل قوتها .. وهو لا يتزحزح ملليمتر واحد عن مكانه .. يفتح عين واحدة بحاجب مرفوع وينظر إليها .. يشفق عليها ويقوم معها ليمنحها احساس نصر صغير .. كأنها طفلته التي ينهزم أمامها دائما في اللعب ليسعدها .. تدفعه من ظهره حتى باب الحمام .. وقبل أن يدخل يلتفت إليها ويقبلها على وجنتيها .. يعرف أنها تنتظر هذه القبله بالذات .. كادت تظن أنه نسي .. تحرق في وجهه للحظات ثم تعانقه بقوة قبل أن تندفع إلى المطبخ دون أن تقول شيئا .. تضع الشاي على النار .. وتعبيء طبق متوسط بكعك وبسكويت العيد .. تجهز الفطور وتضعه على الطاولة ينتظرهما معا .. يصلي بها الصبح .. يدعو الله أن يتقبل منهما .. أما هي

فتدعوه أن يحفظه لها .. يشكرا الله معا ويعودا إلى الطاولة يتناولوا فطورهما .. يطعمها .. وتطعمه .. تحلم بـ"يحيى ومريم" حولهما في أعوام قادمة .. وهو يشاكسها: "بس مش هعرف أأكلك كده يا أم يحيى قدام يحيى" .. تحبه كثيرا حين يقول لها "أم يحيى" .. تتذكر فطيرة الشيكولاتة التي أعدتها له يوما .. كان اسمها في كتاب الطبخ "الفطيرة الاسفنجية" .. ورغم أنها التزمت جدا بالمقادير والطريقة .. إلا أن الفطيرة خرجت مختلفة تماما .. ولم تعد تستطع على الإطلاق أن تطلق عليها فطيرة اسفنجية .. وحين تذوقها وأعجبته اختارت أي اسم تخبره عن هذا الذي يأكله ويعجبه .. فاقترح هو أن يسميها "أم يحيى" كـ "أم علي" هكذا .. وتكون الفطيرة الخاصة بهما .. يتفقا أن يصنعاها معا غدا ... تشفق فجأة: "صلاة العيد" .. ينظر لساعة الحائط .. يهتف: "يانهار أبيض" .. تهب واقفة .. تخرج ثيابه المكوية من الدولاب .. تساعد في غلق الأزرار .. تلمع له حذائه سريعا .. تناوله هاتفه من الشاحن .. ومحفظته من فوق التسريحة .. تنثر العطر على قميصه وتخبره أنها ستبدل ملابسها وتجهز حتى يعود ..

وكما فعل العيد الفاتت يبعث لها بمسج وهو جالس يستمع إلى الخطبة يخبرها أنه اشتاقها .. تضحك من رسالته الغير متوقعة في هذا الوقت للمرة الثانية !

يرجع بعد ساعة ونصف ويجدها بانتظاره .. يغادرا معا ويذهبا أولا إلى بيته عند والده ووالدته .. يمكثا هناك حتى نصف النهار .. ويقضيا النصف الآخر عند والدها ووالدتها ... يلتقيا بأقاربه وأقاربها في منزل عائلته ومنزل عائلتها .. يتذوقا طعم مختلف للعيد وهما معا .. يمتلئان بأحاديث الأهل وضحكاتهم وحكاياهم .. يلعبا مع الصغار كأنهما لم يكبرا بعد .. ويستغلها الأطفال ويأخذان منهما ثمن البمب والصواريخ حتى يوفرا عيديتهم لألعاب أخرى .. يتستران على الطفل الذي وضع الصاروخ أسفل كرسي الرجل الذي يستقزهما دائما .. يعرفا كيف يمكن أن يشبه العيد طعم الحلوى والشيكولاتة بالبندق وجوز الهند والفل السوداني اللي مش هيتبدل تاني .. يمتلئ الجو بفقااعات صابونية مدهشة ينفثها الأطفال ويقفزون ورائها .. ويأتي إليها طفل صغير بيكي لأن زجاجته التي اشتراها للتو انسكبت منه قبل أن يستمتع بها .. فتأخذه وتملأها له بالماء .. وبعض قطرات الشامبو ثم ترجها .. تميل على أذن الطفل وتوشوشه: "ما سأفعله الآن سر صغير أخبرني به صانع زجاجات الصابون هذه.. وهو الذي يعطي الألوان الزاهية للفقاعات .. " وتضع قطرتين صغيرتين من الكحول ثم ترج الزجاجاة مرة أخرى .. يكتم الطفل السر ويخرج سعيدا للغاية وهو يشعر أنه ملك العيد لأنه عرف أسرار الفقاعات الصابونية أخيرا .. !

يتابعها من بعيد وهي تفعل كل هذا .. يشعر أنه يحبها جدا هذه اللحظة ويريد أن يخطفها بعيدا عن كل هذا الزحام .. هو يجلس مع رجال العائلة .. وهي تقف وسط أخوتها وأمها وقريباتها .. نظرتة معلقة عليها .. ونظرتها معلقة عليه .. حين يمر عابر بينهما يميل ليراها .. وهي تميل لئراه .. يغمز إليها فتضحك لهذه الغمزة التي تعرفها وتفهمه على الفور كما تفعل دوما .. تقول لأمها أن الوقت تأخر ويجب أن يذهبا .. ويستأذن هو من أبيها ويسلم على بقية الرجال .. يغادرا معا ويدها في ذراعه وهو يقول: "قوليلي يا مراتي يا حبيبتي نفسك أفسحك فين؟" .. تخبره أن عيدها هو وجوده بجوارها.. وهذا أقصى سعادتها .. يأخذها ويتعشيا معا .. يذهبا إلى السينما .. يختارا الفيلم الكوميدي كالعادة .. يمتلئ قلبيهما بالضحك .. تفيض سعادتهما على

كل شيء .. يخبرها أنه يحبها .. تخبره أنها تعشقه .. يرجعا بيتهما الصغير .. يمران على الطاولة الصغيرة .. يحلمان بـ يحيى ومريم حولهما في أعياد قادمة !

رسالة إلى الله (١) !

باسمك يا الله أبدأ رسالتي إليك .. وأقول "بسم الله الكبير الواسع" .. لأنني أشعر بصغري وضالتي الشديدة الآن .. وصدري ضيق جدا ولا يسع نسمة هواء أتنفسها وأرتاح .. أجدني أزفر كثيرا .. كوسيلة لتوسيع المكان وإفراغه من كل شيء لا أكثر .. أمضي بذراع مفرودة قليلا تلامس الجدار وتبحث عن شق صغير يستطيع أن يمر الهواء من خلاله .. لماذا كل الجدران مصمتة إلى هذا الحد ومصابة بضيق حاد في التنفس .. أفتح النوافذ والأبواب وأنا أتذكر صديق أضاف مؤخرا صورة على الفيس بوك لشباك نسي إحدى جانبيه موارب لفترة وحين انتبه وجد عش صغير في هذه الفتحة وداخل العش بيضتين .. التقط صورة وأضافها لألبومه وكتب تحتها أنه أول ما رآها نطق "الله" .. وفي التعليقات قال أن هاتين البيضتين قد تحولتا ليمامتين صغيرتين وجميلتين حلقا بعيدا .. تسمرت طويلا أمام هذه الصورة .. وفكرت أنك يا الله تبعث رسالة لهذا الرجل مضمونها خير كثير .. تمنيت وتمنيت لو تهديني عش ببيضتين مثله .. رجعت للنوافذ التي فتحتها على آخرها وواربتها .. راقبت الطيور المحلقة وأنا أرجوها أن تأت إلي .. على حافة النوافذ كلها وضعت فتافيت خبز و عناقيد عنب صغيرة .. وانتظرت طويلا .. كل هذا ولم تفكر يمامة واحدة أو حتى بومة أو غراب بالالتفات إلي والعطف على قلبي الهش الفقير .. تذكرت صديقتي "جي جي" التي تعشق القطط .. وأول ما تفعله حال أن تستيقظ هو ملء زجاجة مياه وتفرغها في علب زبادي وآيس كريم كثيرة وزعتها على رصيف شارعها وحواف البيوت .. وحين استغربت وسألتها عن هذه المياه قالت أنها من أجل القطط المشردة .. كانت جي جي فتاة عادية بالنسبة إلي .. بما يعني أنني لا أحبها .. ولا أكرهها .. ولكن يبدو أنني أحببتها في هذه اللحظة بالذات .. حين نطقت هذه الجملة ووجدت القطط تجري ناحية المياه كأنها تنتظرها بشوق .. وصديقتي تراقب هذا بسعادة غامرة .. وجدت هذا جميلا للغاية .. وبه شيئا لا أستطيع تحديده لكنه يأتي من روحك يا الله .. لم أعد بعدها لأفكر في السيئات والحسنات كما كنت .. ولكنني انشغلت بهذه الأشياء الصغيرة المحرومة أنا منها تماما .. وأتمناها بشدة ..

أنا لا أكتب إليك يا الله لأخبرك شيئا لا تعلمه عني .. فكما أخبرت وفاء صديقتي أمس أنك تعلم بأمر كل الدماء النابضة في قلوبنا وأنت أقرب إلينا من حبل الوريد .. وإنما أكتب إليك لأجرب متعة البوح إليك .. لأنني أحتاجك جدا .. جدا .. وأشعر بالخلج الشديد لأنني ألجأ إليك الآن فقط .. أشعر أنني فتاة انتهازية وأنانية وناكرة للجميل .. حدث ياربي أن احتجتك كثيرا في فترات سابقة لم أدق بابك بها .. كنت أرفض أن أكون هذه الفتاة الإستغلالية .. وكنت تساعدني دون أن أطلب .. يقولون أن سبحانك أحسن علينا من آبائنا وأمهاتنا .. أعرف هذا ومتأكده منه تماما ..

لكنني أفكر أحيانا أنك ترحمني من أجل أمي .. من أجل خوفها وقلقها ورجفتها عليّ .. من أجل دعائها في كل سجدة لي .. من أجل طيبيتها و قلبها الذي لا يستحق الحزن .. فكرت من عدة أيام أنه لو حدث لأمي شيئاً ما “لا قدرت يا رب” .. فكرت أنه لن تطالني رحمة بعدها .. في رأسي ذكرى واهية لحديث سمعته يوماً يقول “إذا ماتت أم العبد نادى مناد أن سدد وقارب فلقد ماتت التي كنا نرحمك من أجلها” .. لا أعرف يارب إن كنت أنا أستحق الرحمة يوماً لأجلي .. ولا أعلم كيف عليّ أن أفكر .. هناك من يقول أنه ينبغي أن يفكر الإنسان بأنه يستحق كل الخير .. ويعيش بهذه الإيمان .. و أنا أشعر أنني لا أستحق أي شيء .. أدعوك دائماً :”اللهم عاملني بما أنت أهل له .. ولا تعاملني بما أنا أهل له ” .. حين حدث من فترة أن صببت الماء المغلي على يدي وشعرت بالألم يتصاعد وبالحرق يزداد لهيبه مع الوقت .. فكرت لحظتها في ذنوبي كلها وماذا سأفعل بشأنها .. لن أحتمل الماء المغلي والنار .. وهذا العذاب الذي لن يفنيني لكنه سيجعلني أحلم بالفناء .. كنت في الصف الأول الابتدائي حين حفظت سورة “النبأ” .. ورغم أنني كنت أحفظ دون فهم أو تفكير مزقتني الآية الأخيرة بها :”ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً” .. لست كافرة ولك الحمد يارب .. لكنني لحظتها رددت طويلاً :”يا ليتني كنت تراباً” .. كنت أرددتها وأتمناها في سري طويلاً وأنا أخاف أن يسمعي الشيخ عزت الذي كان يحفظني القرآن .. أو تسمعني أنت يا الله فتظنني كافرة .. كان هذا تفكيري الصغير الأحمق وقتها .. و أحتار الآن في أمنيّتي القديمة هذه .. وأتساءل لماذا تتمنى طفلة في السادسة من عمرها لم تتلوث بالذنوب بعد أن تكون تراباً .. أعرف أنني الآن لست فتاة صالحة .. ولكنني أرغب بالجنة كي لا أدخل النار .. وربما أرغب فقط بالأدخول النار .. أنا أحبك يا الله .. وكل الأوقات التي حدثت وتقربت فيها إليك وصليت لك لم أفعل هذا لأنني أرغب بالجنة .. فعلت هذا لأنني أحبك .. وأحبك جداً .. لم أدعوك بالجنة يوماً لأنني خفت أن أكون بهذا الدعاء أطلب مكافأة لعبادتك .. والآن أنا لا أتقرب كما كنت ولا أصلي كما كنت .. ولا أخبرك كل يوم أنني أحبك كما كنت .. ولا أدعو بالجنة ولا بالنجاة من النار .. أنا صغيرة وضئيلة وتعيسة .. ولا أشعر بالراحة مهما حاولت .. أحتاج هذه اللحظة فقط بأن أخبرك أنني أحبك وتأيتني يمامة جميلة تلتقط الخبز والعنب من على حافة نافذتي ثم تطير بعيداً !!

رسالة إلى الله (٢) !

إلهي عقدت رجائي عليك
وأطرقت رأسي بين يديك
فإن أنت لم تعف عني هلكتُ
وهل مفزع منك إلا إليك *

باسمك يارب أبدأ رسالتي الثانية إليك .. وأقول كما قال الخيام .. "إلهي عقدت رجائي عليك" .. أقولها وأنا أعقد رجائي وأمالي وأحلامي وأطماعي الكبيرة بأن تسامحني يا الله .. أعقدها جيدا لأن الشيطان في الأسابيع الماضية حلّ كل العقد التي سبق وأحكمت ربطها وأطال حبل المسافة بيني وبينك كثيرا لأبتعد وأتوه وأضيع وأغزو وحيدة جدا من دونك .. كنت كسلحفاة شقية أضاعت صدقتها في ليلة ممطرة وترتعث من البرد والخوف .. غير أن هذه السلحفاة كان كل هذا الوجود القاسِ عدوها .. وكنت أنا فقط عدوة ذاتي .. لم أستحق الشفقة مثلها .. وإن كنت توسلت إليك ذات فجر بأن تأمّني وتحميني .. فلأنني كنت سيئة كثيرا .. وطلبت هذا حتى إذا استحوذت نفسي عليّ وعصيتك .. أكون بريئة من هذا العصيان أمامك لأنني رجوت حمايتك وأنت لم تفعل .. إلا أنك فعلت يا الله .. كانت أشياء صغيرة جدا .. وكنت أشعر بوجودك فيها .. كنقاط ضوء صغيرة تطير بشكل فراشات ليلية عرفت أنني لو تتبععتها فستدلني عليك بالنهاية إلا أنني _ولغبائي_ لم أفعل !

حلمت الأمس بحلم يتكرر كثيرا منذ أن كنت بالصف الثالث الابتدائي وأخبرت معلمتي "سناء" عنه كشيء عابر .. لكنها صمتت ثم ذهبت وتحدثت مع بقية المعلمات وجاءت لتقول : "أيتها الملعونة الصغيرة .. أنت تكذبين وتؤلفين هذه الأحلام" .. ورغم أنني لم أكن أكذب أو أولف إلا أنني صدقتها وصمت أيضا ولم أعد لأتحدث عن هذا الحلم منذ ذاك الحين .. وأكتب لك اليوم عنه لأنني منهكة من أحلامي .. وإن كنت أتحدث كثيرا عن نهاراتي الفارغة فإن ليالي ليست كذلك .. لم أعد أهب مفزوعة كل ليلة كما كنت بالماضي .. وإنما صرت أستيقظ بصداع ورأس مائلة على الجدار وأشياء كثيرة كثيرة أعيشها في أحلامي كما أعيش واقعي تماما وليس ثمة جدوى من محاولة اثباتها .. وليس ثمة طريقة أيضا من أن يشاركني أحد إياها !

حلمت أمس بيوم القيامة .. بالحساب .. بصحيفة ليست بيضاء بما يكفي .. بك يا الله تنظر في أمري .. بالهول الذي يجتاحني أمامك .. كل من أعرفهم دخلوا الجنة .. وكنت أنا وحدي من أهل الأعراف .. لم أقذف في النار بعد .. والجنة لا تقول "هل من مزيد" !... استيقظت وأنا أحمدك يارب على فرصة جديدة للحياة .. وربما للنجاة .. تأملت قولك : "وأخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم" .. وأنا أرجو توبتك و عفوكم وأعقد كل رجائي عليك يا الله .. أعقده بقوة وأزيد في العقد .. أطرق رأسي بين يديك وأحلم برضاك هذه المرة وإن كان حتى ثمن هذا الرضا هلاكي يا الله !

لأجلك .. سأكون "كبيرة" !

من الزجاجاة صببت كأس ماء بارد جدا .. شربت منه ثم وضعت به بجواري .. أرتشف منه كل ثلاث دقائق دون شعور بالعطش .. لأن الماء تلج بيكي داخلي أشعر ببرودته في جسدي كله

وأحب رعشتي له .. وأفكر في “عين” .. لأنه حتى الآن لم يقل لي كل شيء .. رغم أنني أسمع
بخشوع .. بمرفقين متكأين على طاولة وكفين يحتضنا وجهي .. ونجوم تغادر عيني وتلمع حين
أتأمله .. لا تحول إلى وجه صغير في تعبيرات “الياهو” .. أو .. إلى صورة الطفلة التي تضعها منار
لنفسها .. وكل هذا الوقت الذي قضيناه معا ولم يخبرني بعد بخساراته أو أخطائه وانكساراته
وارتباكاه وعناءاته واشتعالاته وحديثه لزهرة الياسمين ومحاولاته للنسيان وحنينه وعبوره
للمنفى وشخصه الأخرى وكل شيء كل شيء كل شيء!

كل ما قلته يكفي تماما لأن يفتت أجزاء من كرات دمي لتتحول لحروف (ع) ين تجري في
عروقي ويحمر لونها أكثر لكنه لا يكفي أبدا لأن أعرفك أيها الرجل الذي لا يحصى .. رغم أنني
حين تعرفت عليك من خمس شهور وبعد أول لقاء .. صعدت لغرفتي في الطابق الثاني
.. وتوجهت لباب الغرفة الذي أدون عليه كل شيء كمدونة خاصة جدا لا يقرأها غيري
.. حتى أن لونه الأبيض تراجع بانهازام أمام الحبر الأزرق .. وخربشات الرصاص .. لأكون أول
فتاة تدهن باب غرفتها بقلم جاف توجهت للباب .. وكتبت في أعلاه “ع my love”
” واستغربت كثيرا من نفسي حينها .. لأنني لم أكن أعرفك بعد .. ولم يحدث ما يستحق أن أكتب
هذا .. واستغربت أكثر لأنه عمل مراهق جدا .. يشبه كتابات المراهقين على أسوار المدارس
وداخل عربات القطارات والمترو .. وأغلفة الدفاتر .. أنا التي دائما ما نظرت لهذه الأشياء
بامتعاض ولوي شفة أجدي أفعالها الآن وأنا أعتقد أن مراهقتي انتهت حين وصلت لسلمة
العشرين .. وربما كان هذا التفكير مراهقة أخرى .. لأنني أتوق لأن أصبح “كبيرة” كـ طفل في
الصف الثاني الابتدائي ينظر لأطفال الصف الأول باحتقار لأنه الآن أصبح “كبير” .. لا أريد أن
تستهين بي عين .. وتهزأ من هذه الفتاة التي تريد أن تصبح كبيرة فقط لتكون جديرة بحب رجل
خميني لازال تائها بين نساء العالم يبحث عن واحد تهذب العالم معه بالكلمات .. ألا أصلح
يا عين ؟ .. أنا التي أتعلم الحروف لأجلك .. والرسم لأجلك .. والتشرد لأجلك .. والفلسفة لأجلك
.. والحب لأجلك .. لأكون كبيرة كفاية لأجلك .. وكل ما أريده منك أن تعرف شكل كفي .. وحجم
أصابعي .. وأن تمسك يدي جيدا .. ولا تضيعني عين .. لأن الحياة قاسية جدا كسن سكين وأنت
قادر أن تكون دليلي .. قلها .. قلها الآن وسأصدقك .. قل : أنا دليلك دعاء .. أنا ضوء السماء في
جيبك ! .. وتعال نفتت هذا العالم لقطع صغيره بحجم أحلامنا ثم نعيد ترتيبه كما تشتهي قلوبنا
!..

أنت توجعني حين تكتمل في قلبي تماما كقمر منتصف الشهر .. وتظل في رأسي هلالا يتوق لأن
يصبح “كبيراً” .. تعبت منك .. وأريد أن أفصح عنك ولا أقدر .. فكيف أستطيع أن أهدى من
اشتغالي بك وحنيني لك دون أن أفعل !

حسنا عين .. لا تقل شيئا الآن سأشرب بقية كأس الماء دفعة واحدة ... وأنام !

سالمة يا سلامة !

عدت من الإسكندرية الآن إلى قريتي الصغيرة .. وكسارة* .. دخلت غرفتي التي اشتقت لها وأنا أردد ” وحشتني يا سريري .. وحشتني يادولابي .. وحشتني يا مكتبي ... وحشتيني يا مرايتي ... وحشتني يا ماركو ... وحشتيني يا ايزابيلا ... وحشتني يا نشأت “... سأعرفكم على أصدقائي .. ماركو هو فتى يرتدي بنطلون قصير .. قميص بأكمام واسعة .. حذاء برقبة .. وقبعة كبيرة تميل على رأسه .. يمسك في يديه جيتارا ويعزف .. وأمامه إيزابيلا ترتدي فستان إحدى الأميرات الأسبانيات .. وترقص .. فينبت العشب تحت قدميها ... كنت قد رسمتهما فوق ورقتين منفصلتين وعلقتهما على الجدار يقابلان بعضهما من عدة أشهر ... ومازال هو يعزف .. ومازالت هي ترقص .. دون أن يخذل أحدهما الآخر .. حتى اجل تأتي فيه الريح قوية من الشباك المقابل .. وتفنيهما معا أما نشأت .. فهو “هيكل عظمي” .. علقته ليكون الإثبات الوحيد في غرفتي بأنني أنتمي لكلية الطب ... لكنني استطعت أن أصادقه فيما بعد وربما تكون علاقتنا توطدت كثيرا في الأيام الأخيرة .. حتى صرت أشبهه !!

أوه .. كم أنا ثرثرة .. أردت أن أقول فقط .. ”أنا رجعت !” ... حسنا .. أنا رجعت من أجازة بدأت صباح الأربعاء وانتهت اليوم لأن عيد ميلاد أمي لن يستطيع أن ينتظر يوما آخر .. ولأن الحمام الزاجل فشل في أن يوصل القبله لخدما مع عبارة “كل سنة وانت طيبة” .. ولأنني قررت توزيع الفصح على مدار الصيف كالقمح في السنوات العجاف كي لا أكل مللي في الشهور القادمة .. _كأن الأجازة شهور ..!!_

ما يهم أنني سعدت جدا بهذه الأجازة القصيرة .. كانت الإسكندرية مختلفة هذه المرة .. وربما أنا من كنت مختلفة .. كنت سعيدة جدا .. وحزينة جدا .. ولأنني لم أعرف كيف يجتمع الحزن والفرح بهذه القوة معا .. كان على أن أنتظر حتى يذوب أحدهما في الآخر .. أو أن أحاول أن أفهم ... أحاول أن أعرف كيف تجتمع التناقضات كلها في قلب واحد .. وكيف تستطيع قبيلة النساء بداخلي أن تتعايش معا .. فقررت أن أبدأ من تناقضات العالم حتى أصل لقلبي .. في الصباح الأول .. ارتديت طاقما جميلا .. و تهنمت أمام المرأة طويلا .. لبست حذائي الجديد .. وخرجت لأتناول فطوري في إحدى كافيهات سان ستيفانو كفتاة أرستقراطية تتناول الكيك والشاي ويشغلها لون طلاء الأظافر الجديد .. كان الأمر ممتعا حقا ولكن تناول الغداء كان أكثر متعة .. لأنني عدت للمنزل .. وبذلت ملابسني بشيء أستطيع أن أرتيه دون أن أهتم بالآيس كريم الذي سيتساقط سائحا فوقه .. أو بالرمل الذي سيختفي في الثنايا أو بالجلوس فوق الكورنيش في منطقة فقيرة تطفو على الكولا وأكياس الفول والطعمية والسوداني فوق بحرها وتغطي معظم الصخور ... اشتريت ساندويتشات ومخلل وجلست .. ظهري للشارع .. ووجهي للبحر .. أطوح قدامي وأقضم المتعة ... كان الأمر مريح جدا كحذاء قديم ... وكنت سعيدة .. وربما أكون نسيت _أو تناسيت_ أنني أفعل هذا لأفهم ... وصرت أفعل المزيد والمزيد من التناقضات لجلب المتعة لا أكثر ... حد أنني كنت أتناول الغداء في هارديز .. وأخرج لأركب أتوبيس حكومي !! ... اشترى كتابا من مكتبة الشروق وآخر من فوق رصيف .. أذهب لحفل فريق “بونت اف يو” لموسيقى الجاز في مسرح مكتبة الإسكندرية ... وأغني مع مجموعة من المنتشيين على الشاطئ : “زي العادة مروح بيتنا .. شفت البت الحلوة جارتنا .. قلت انا بس .. قالت هس ... بابا يحس ويخرب بيتنا “.. اشتريت الدمية باربي من محل الألعاب .. وأراجوز خشب يصفق بصفيحتين مدورتين كلما ضغت على بطنه من بائع متجول ... الأراجوز لذيذ جدا ويسليني .. وباربي لا تفعل شيئا

غير أن تحديق بي ببلاهة دون أن تصفق لمجيبني أو تسعدني بأي شكل من الأشكال .. أنا أيضا تجاهلتها .. وانطلقت أفكر في رجل يحبني كثيرا .. نتفق على أن نسير يوما على هواه ويوما على هوايا .. قلت لنفسي سأأخيله أول رجل يخاطبه لسانني اليوم .. ومضيت .. لم أنطق بحرف لـ "كمسري" الترام .. ولا لبائع الصحف .. حتى أنني لم أعتذر للرجل الذي دهست قدمه في الزحام .. حتى دخلت "راديو شاك" حيث اشتريت موبايلي الجديد .. كان الموظف لطيف جدا ويقول "وعليكم التلام!" .. نطقته أووووه طويلة في داخلي ... كم أحب اللدغة في حرف السين .. تشعرني أن من ينطقها يخبىء داخله طفل لذيذ شقي يلحق "دولسي ستيك" .. وينطلق كعفريت! ... تعمدت ألا أقاطعه .. كي يُسمعني الثين كثيرا .. أردت أن أقول "تعرف تقول : ثتي عملتلي بثبوثة بالذيت بالثمنة بالثكر بث ياخثرة طلعت معثلة ؟ ... قلها لأجلي ... لأجلي فقط وأعدك بأن نسير ثلاثة أيام على هواك في مقابل يوم على هوايا ... لماذا لا تقول ... قلها .. قلها " ... ابتسم فجأة في وجهي دون سبب حتى شعرت أنه سمع رأسي وها هو يضحك .. قطبت حاجبي أمامه .. "إذن .. كل الأيام على هوايا ... كل الأيام على هوايا " ... لماذا لا يصغي أحد إلي؟ .. حتى ماركو وايزابيلا ملهيان بحبهما ورقصهما عني ... ونشأت يضحك دون أن يضحك .. لأنه لا يمتلك شفتين .. وتظهر أسنانه كلها .. كأنه يغيظني .. ويسخر من بشرتي السمراء ... حسنا يانشأت .. حسنا أيها العاشقان .. حسنا يا باربي .. أنا تعبت .. سأنام الآن ... وغدا ربما أكمل !

ترقص؟ ... أرقص !

"أخذني ع زورق والبحر مراية

لون البحر أزرق رايح وجاي

دق قلبي وانسرق قلبي وكدني العرق

لما بريق عيونه بعيوني مرق"

في الشرفة الواسعة اغني وأدور حول نفسي مرات ومرات فاردة ذراعي عن آخرهما وأكاد أن اصدق أن لي أجنحة امتلأت بالهواء ... وبأنني سأرتفع قبل اكتمال الأغنية لأواصل الرقص فوق نجمة .. تشبه مسرح بللوري .. وضوء سيسقط من السماء مباشرة علي في شكل دائرة تعرف

مسبقا حركتي القادمة وتسبقتني اليها ..كفراشة باليه تقدم رقصتها الساحرة في حفل الأوبرا...أنا
المفتونة برقص الفراشات اقتصرات أحلام حياتي ذات يوم ..على الرقص حافية أمام الأوبرا
تحت المطر...مع صعلوك أسميه حبيبي ..لنبتل ملابسنا ويلفنا الرقص وندور وندوخ كدوامة
في إصصار...أفكر في حلمي القديم دون ان اتوقف عن الغناء أو الدوران...عيناى مغلقتان و
الموسيقى ترتفع ..قدماي تلامسان الأرض...أميل يمينا ويسارا كسمكة تسبح على مهل ..
وذراعي طوحها الهواء بعيدا لتلتقطها يدك فأفتح عيني دون أن اندهش كثيرا وأراك تقرب يدي
من شفئك وتقبلها فأشعر أنى أميرة حكايا الجن .. وأن هناك غصن بشكل شريان مال في
قلبي..تلف خصري بذراعك ونكمل رقصة بدأناها ذات خيال..نتشابك مع الموسيقى ..ونرتفع ..
نرقص .. نتمايل.. وندور وينبت الورد تحت أقدامنا.. وننشغل بنظراتنا كثيرا ..حتى أننا لا ننتبه
للضوء الذي يغمرنا في شكل دائرة والذي يأتي من السماء مباشرة !

*أغنية "بديت الحكاية" لـ هبة القواس.

وأیضا وأیضا وأیضا !

عن ماذا أريد أن أخبرك؟ عني ..ربما .. عن اليوم الذي قضيته دونك تماما ..ربما .. عن
الأشياء التي أريد أن أفعلها وأؤجلها دائما بلا سبب فأكتفي بإحصائها في ورقة كي لا أنساها
ولكن يبدو أن هذا غير مهم لأنني لا أعود لهذه الورقة أبدا .. عن المذاكرة التي لن يكفيها كل
الوقت المتبقي على الامتحانات ولا حتى ضعفه مرتين .. وأنا عاجزة عن البدء حتى الآن
وأصنع كل يوم جدولا جديدا للمذاكرة وأمزقه في اليوم التالي .. عن الشوق الذي كاد يسحقني
طوال النهار ويحولني لذرات غبار بإمكان الريح أن تطيرها إليك فتتنفضها عنك دون اكتراث
وأنت لا تتخيل أن الشوق بعثرني إلى الحد الذي أتى بي إليك.. عن أغنية "قهوة لـ فيروز
كراوية" التي أدرتها منذ أن ظهر كوكب الزهرة حتى اختفى تماما في العاشرة وسبع وعشرون
دقيقة بالضبط و أنا أقف في الشرفة قبالة أنظر إليه وأغني مع كراوية : "طب ممكن نسرق
ساعة وتشرب قهوة معايا بقا ..تقول "بقا" لأنها فاض بها كثيرا ولم تعد تحتل هذا البعد ..
ويخرج الصوت من السماعات حالما ومشتاقا ..جميلا إلى الدرجة التي ينبغي معها أن يهدأ
الكون كله تماما ..وينصت في صمت وإغماضة عين ..ورغم هذا..الحياة حولي لا تهتم به على
الإطلاق .. صوت القطار الطويل جدا .. السيارات الذاهبة والآتية ..فلاح يشغل موتور المياه
ليروي حقل الأرز .. أطفال يتشاجرون أسفل المنزل ..جار يستعد للزواج قريبا ويفرش شقته
التي تشع فوضى وضوضاء وفرح ..ضجيج لا ينتهي.. وأنا وحدي في هذا العالم هادئة تماما و
مغممة بأغنية تشتاق لفنجان قهوة معك .. عن ماذا أريد أن أخبرك أيضا .. عن تذكري بأنني لم
أنظر لصورتك منذ ليلة الأمس و هذا لا يحدث إلا نادرا لكنني تجاهلت هذا وقررت أن أغمض
عيني وأتذكر ملامحك وحدي .. وكالعادة أرى الحسنة الصغيرة في خدك الأيسر بوضوح تام ..
وأعجز عن تحديد بقية ملامحك لأنها لا تترك مساحة في عقلي لشيء آخر .. أخبرتك كثيرا
أنني أحبها ..وأنها أول شيء أذكره بوجهك .. لكنها تزعجني في هذه اللحظة .. وتجعلني
أشتاقك أكثر .. أود لو تكون نقطة شيكولاتة نسيتهها وأنت طفل وبإمكاني حين أراك أن أمرر

إصبعي عليها و آكلها وأنا أرى المكان حولنا يمتلئ بألواح شيكولاتا بالبندق والكريما وبالونات
العلك المصابة بارتفاع في السكر و غزل بنات و كل ما يشتهي الصغار ويحول الصيف إلى
كيان طري وشهي قابل للحب والحياة وصنع بالونات الدهشة الصابونية ... تعرف؟ أنا أيضا
لدي في ذراعي الأيسر شامة صغيرة بشكل وبحجم حبة توت تحلم بأن تلتقطها أطراف أصابعك
مرة وتزرعها في حديقة منزل يخصنا وحدنا بجوار شجر ياسمين وبرتقال وعلى الأرض نعان
كثير يغطيها تماما ويلون حياتنا بالأخضر ..

عن ماذا أريد أن أخبرك أيضا .. عن الصباح الذي يحويني دونك هذه اللحظة وأنا أحلم بأن
أخطفك من نومك ونجلس معا نشرب قهوة صباحية ونحن نستمع لموسيقى نحبها و رأسي مائلة
علي كتفك قليلا ..!

تعرف أيضا .. أنا مرعوبة من أن أرفع رأسي من على هذه الشاشة الآن ولا أراك جالسا
بجواني .. مرعوبة جدا!

سيارة حمراء والكراسي أعصاب !

قبل المغرب كل يوم بساعتين تقريبا أخرج أنا وأبي ليعملني القيادة .. لأن أختي ستتزوج
.. وسأخذ سيارتها _ أو ما سيتبقى منها بعد أن أنهى تعليمي عليها _ ... اممم .. الوضع ليس بهذا
السوء حقا .. ربما فقط ستكون كما يقول "سلطان" في " العيال كبرت " : "هي كل حبة فيها سليمة
... بس لوحدها!" .. الحقيقة أن أبي يربكني كثيرا .. لأنه يتوتر .. والكرسي المجاور لي هو في
الحقيقة أعصابه التي يجلس عليها .. أتعلم على طرق زراعية تربط المراكز الصغيرة والقرى
ببعضها .. ونادرا ما أخطو فوق "طريق سريع" .. وإن فعلت يكون لمسافة قصيرة جدا .. الأسفلت
يحوى "تقر" كثيرة .. وأحيانا "طوب صغير" أو "كسر" .. أحاول أن أتفاديه أغلب الأحيان
.. وأنحرف لهذا .. وأبي يثور لانحرافي .. ويصرخ في : "أنا عاوزك تكسريها .. كسريها" .. وإذا
لم أحاول تفاديها والانحراف قليلا أجده يصيح مع رجة السيارة : "إنتي هتكسريها !!!" .. أريد
أن أضحك .. والضحك ليس مناسباً أبدا في هذه الحالة .. لأنه متوتر .. وبرودي سيثير غضبه
أكثر .. أزم شفتي وأكتم ضحكتي ثم أنطق "حاضر يا بابا .. هاخذ بالي المرة الجاية" .. هذه
الجملة تريحه كثيرا .. وأنا أنطقها دون أن أعرف ما يتوجب عليّ عمله حقا في المرة القادمة ..
لكن بعيدا عن القيادة أنا سعيدة لسبب آخر .. لأنني صرت أمضي الكثير من الوقت بصحبة أبي
.. وهذا الوقت ليس بالطبع كله أخطاء وتوتر وصياح وحوادث وشيكة .. لكننا نتحدث كثيرا
ونمزح ونضحك .. ومع أول ضحكة تتطلق كل ضحكاتي التي سبق وكتمتها من أعشاشها
.. وتطير عاليا كفراشات الحقول التي تشي لكل الفلاحين بسعادتي .. وكنت بهذه السعادة أمس
لأنني استطعت أن أطلق أول "شتيمة" تجاه سائق عابر كاد أن يصدمني من الخلف .. ولأنها أول

مرة لا يكون الخطأ فيها خطئي ..كنت "أشتمه" بسعادة بالغة ..وأبي بجواري يضحك على غضبي المصطنع ..و يدعي أمام السائق أنه يحاول تهدأتي ..لكننا انفجرنا معا في الضحك فور أن تجاوزنا السائق ..وانشغلت بالموقف حتى كدت أن أضدم سيارة أمامي ..ليشيط أبي تماما وهو يصرخ "حاسبي" ...حينها اصطنعت دمعة ..وكتمت ضحكة كانت تصر أن تغادر العش ... وحاسبت !

أنا صعلوكة عظيمة !

_ لا تكتبي عن الصعاليك .. يكفي أن البلد مليئة بالصعاليك

_ أنا أحب أن أكتب عن الصعاليك والمشردين والمجانين والسكرارى على الأرض كلها ..سأكتب عنهم اليوم وغدا وبعد غد ...ولاحقا قد تراني مع صعلوك مشردّ نجلس فوق سلالم ميدان عام نشرب دموعنا خمرا نخب الألم الذي لا يعرف حدودا والذي سنضحك منه كثيرا حين تلعب الخمر برؤوسنا تماما وبعدها قد نكسر الزجاجات الخضراء ليتناثر الزجاج على الأرض ونرقص فوقه بهستريا شخصين كتبنا و بكيا وتحدثنا وتألما وضحكا ثم رقصا بعد ذلك كله حافيين فوق أشلاء الزجاج الحادة جدا والدم الذي ينزف بغزارة من أقدامهما والجنون الذي يتسرب من قلبهما ويغزو المدينة كلها لتعرف حينها كيف ملأ الصعاليك البلد !

_ يا دعاء حرام عليكى إيه شغل العربدة ده؟ تشربو وتسكرو سوا وتعورو رجليكو ليه؟؟؟ عشان إيه الدنيا مش مستهلة ..وبعدين تكتبي عن المشردين آه ..اللاجئين آه...إنما السكرارى والمجانين والصعاليك لأ...دول التاريخ بيحذفهم من سجلاته وتيجي انتى تصاحبهم وتشربي نخب الحرية...الحرية عمرها ما كانت لدول ..لأنهم ببساطة مش يعرفوا معناها أكيد بجد مش جربتى تسكري ولا عقلك يغيب عنك ..ولكن بما ان الكاتب الجيد لازم يعيش التجربة ..هبعثلك تربة حشيش ليكي انتى والصعلوك عشان تخمسوا فيها على السلم وتبقو ترمو الفحم بدل الإزاز وترقصو على النار تشا تشا ..أحلى رقصة لأحلى صعاليك !

_ ليس هدفي أن أكون كاتبة جيدة ..أنت لم تعرف بعد ان الكتابة نفسها لا تعنيني في شيء .. فقط أنا من خلالها أفعل أشياء لا تخطر على عقل ولا قلب بشر ..الكتابة تمنحني عالم أرحب حر أمتطي فيه جوادا أسود دون لجام وأسافر إلى حيث لا يستطيع أن يأخذني الفيس بوك والشاشة التي أحملق فيها طوال النهار والشارع الضيق الذي لا يسع قلبي..هناك حيث لن ينساني التاريخ قط كأى صعلوك عادي...لأنني صعلوكة عظيمة !

- أنتي لا تصعدي السلالم لمجرد النظر إليها ..أنت لا تحلمي لمجرد الحلم..على الإنسان أن يحلم ثم يجعل حلمه حقيقة والحقيقة أنك ستستيقظي لتجدي نفسك دون جواد جامح لأن الجواد هو الذي قادك ليس انت من قاداته وتكتشفي أنك الشخص الذي مات في تاريخ أحلامه لمجرد

أنك فارس كتب عن جواد أسود في المروج يجري ويمتطيه صعلوك عظيم يتشبه بالفرسان ..ونسى أن الجواد بلا لجام كالقطار بلا قضبان ..وعند الهاوية تتهاوي الصعاليك العادية مع الصعاليك العظيمة ..كلا بسيف واحد !

- سأكون الأكثر سعادة على الإطلاق إن حدث ومت في تاريخ أحلامي..أنا يا سيدي أقدم الأحلام جميعا وأحلم وأحلم لأن الواقع لا يكفي .. أنا فارسة ولا أتشبه بالفرسان ..فارسة حد أنني أستطيع أن أقود جوادا دون لجام حين أحكم قدمي على بطنه جيدا وأرفع ذراعي في الهواء عاليا وأغمض عيني وأتمايل مع الهواء يمينا ويسارا ...وأنا صعلوك ولا أتشبه بالصعاليك...لأنني حين أتسكع مع "عين" ونجلس على طاولة مهترئة في قهوة فقيرة نستمع للموسيقى ونراقب الذباب الذي يحط على اللحن ثم على الشاي ونرقص ..عندها أكون حصلت على لقب صعلوك بجدارة ...أنا لا أحلم لمجرد الحلم ..أنا أحلم لأن الحلم حياتي الأخرى التي لا يعلم أي إنسان آخر من أمرها شيئا ..ولا يمتلكها سواي ...أنا لا أصعد السلالم لمجرد النظر إليها ...أنا أتسلى بالصعود والهبوط والرقص فوقها ولعب الورق عليها أيضا ...أنا لا أفعل أي شيء لأجل الشيء ذاته ...أنا أفعل كل شيء لأتسلى...ويوما ما سأستيقظ وبجوارى ملك الموت ينظر في ساعته كي يفنيني عند الأجل تماما ..حينها سأبتسم له وأقول بنصر ... "لست نادمة ...فأنا عشت الحياة كما أريد أن أعيش ...لا كما ينبغي أن أعيش " ..وسأوصي من حولي وأقول " احفظوا هذا التاريخ جيدا...فاليوم رحلت دعاء إلى فصل آخر من أحلامها !"

كنت سأصبح نجمة سينمائية مرحة !

في صغري كان حلمي أن أكون ممثلة ك سعاد حسني ونيللي و فيروز .. كنت أعشق فيلم "دهب" بصورة غير معقولة .. وربما كان هذا الفيلم هو السبب الأساسي في الحلم الذي لازمني سنوات طفولتي بأكملها ولم يفارقتني إلا حين دخلت المرحلة الثانوية وانشغلت بأشياء كثيرة جعلتني أنسى التلفزيون والأفلام وحلمي بأن أكون نجمة سينمائية تخطو على سجادة حمراء طويلة ورفيعة تبدأ من الباب الخلفي لسيارة ليموزين سوداء بمجرد أن أنزل منها أغمض عيني من أضواء الفلاش الكثيرة التي ستغمرنى وأنا أجهل كيف أبتسم لها وأحافظ على عيني مفتوحة في نفس الوقت كي لا تظهر صورتني على غلاف مجلة في اليوم التالي وأنا مغمضة العينين !..

كنت أعشق فيروز وأرى فيها الطفلة التي يجب أن أكونها .. قلدت رقصها وغنائها وكلامها وحركاتها البهلوانية التي كانت تأتي بعفوية من شيطانة صغيرة تتدرب على التمثيل ..وكان أبي وأمي يضحكان عليّ دون أن يخطر ببالهما حتى التفكير في حلمي الصغير بقليل من الجدية .. فتمنيت لو أضيع منهما ويجدني أنور وجدي آخر يعطيني مزار به معه في الشوارع ونحن نمسك بطننا من الجوع ثم نتقاسم بفرح التفاحة المسروقة ... فُتنت ب نيللي وفوازيرها ..

وتخيلتها تسكن عروسة قطن لعبة لم أمتلكها يوما وبالتالى لم أكن ميمي التي تتشاجر مع أخيها ميمو عليها ويقولون: "أوعي .. سيبي اللعبة بتاعتي ... لأ دي بتاعتي .. يا سلام ياختي .. ماتشددش .. طب يلا سيبيها .. ماتشددش .. ماتشددش انتي .. ماتشددش انتي" فتتمزق وتخرج نيللي منها لتقول "العبو مع بعض ما تتخانقوش" أو تقول "أنا أصل اللعبة" ... وبالمناسبة أنا لم أمتلك عروسة قطن في طفولتي لأن أبي كان يعاملني كصبي .. كان يأخذنا لمحل اللعب فيشتري لشيء أختي عروسة ويشتري لي سيارة بريمو .. اشتري لي عروسة واحدة في حياتي كلها .. كانت بلاستيك وكانت تحبو صامتا على كفيها وركبتيها وفي فمها ملهاة بمجرد أن أنزعها منه تتوقف عن الحبو وتتفتح في "واء... واء... واء" بإزعاج لانها .. كنت أخذها معي الحضانة حيث أضعت هناك هذه الملهاة ولم تتوقف العروسة عن الصراخ والوأوة حتى وضعت في فمها عيدان كبريت فسكتت وأخذت أبكي أنا على ملهاتها الضائعة وقلبت الحضانة رأسا على عقب ولم أجدها .. كنت متأكدة في داخلي أن الدادة سناء هي التي أخفتها لأنني أعاندها دائما ولا أطيع أوامرها مطلقا فأرادت الانتقام مني وأخفت الملهاة فوق الدولاب العالي الذي لن أستطيع الوصول إليه مهما حاولت .. لم أستطع نهائيا إثبات التهمة عليها وإن كنت كرهتها للغاية وأزعجتها فيما بعد بصورة مضاعفة وغبية .. مايمهم .. كنت أتحدث عن حلمي القديم الذي فر من بين أصابعي كالماء وهرب .. كنت أريد أن أصبح كسعاد حسني بطفولتها ودلالها وخفة روحها وضحكها ورموشها الطويلة التي كنت أحبها جدا وحننت حين عرفت فيما بعد انها رموش صناعية من أجل الكاميرا فقلت بغرور "أنا فوتوجينيك أصلا ولن أحتاج أي من هذه الأشياء" .. اشتريت أظرف كثيرة وكتبت أكثر من خمسين رسالة على مدار حلمي مفداها: "أنا عايزة أشتغل ممثلة زي سعاد حسني أو نيللي أو فيروز" لم أعرف لمن أوجههم فكتبت على الظرف بخط كبير: "إلى رئيس التلفزيون" .. كنت أعطيهم لأبي ليرسلهم وكان يعود ويخبرني أنهم سيردوا علي في أقرب وقت .. وحين وجدت أقرب وقت هذا بعيد للغاية ولم أكن أطيق الصبر بكيث لأبي طويلا كي يأخذني إليهم .. وكانت هذه الاسطوانة تتكرر يوميا دون توقف .. لا أستطيع أن أحدد بالضبط متي توقفت عن كتابة الرسائل وبالبكاء .. ولكن يبدو أن هذا حدث حين لم أعد طفلة لأن الأطفال هم فقط من يتمسكون بقوة بالأشياء التي يريدونها ولا يتخلون عنها مهما حدث ..!

تذكرت هذا كله الآن حين قرأت منذ قليل عنوان صغير يقول: "الاحتفال بالذكرى الخمسين على إطلاق التلفزيون المصري" .. ففكرت لحظتها أن أبعث رسالة تهنئة صغيرة لـ رئيس التلفزيون الذي لم يكلف خاطره يوما بالرد على رسائلي الكثيرة المتوسلة .. أشعر أنني حين أهم بوضعها في صندوق البريد فسأجده مزدحما للغاية وسينكسر وأتفاجئ بسقوط رسائلي القديمة كلها على الأرض كما حدث لـ أحمد حلمي في فيلم آسف على الإزعاج فأجلس على الرصيف أضحك بطريقة بائسة وعلى ظهري تربت أطراف سعاد حسني ونيللي وفيروز !

هل يحبني الشاي بالنعناع؟

أعشق الشاي بالنعناع ... وأتناوله كل صباح كـ "كتابا موقوتا" .. أحتضن الفنجان بكلتا يداي.. وأستمتع بالدفء الذي يسري في عروقي مع أول رشفة ... لأغمض عيني بخدر.. وأحتفي برائحة النعناع التي تختفي في الزوايا كالسحر .. أعشقه حد أنني أعامله بقداسة .. البعض يشرب الشاي بينما هو يذاكر .. وهناك من يشرب الشاي بينما هو يكتب .. ومن يشرب الشاي بينما هو يقرأ الجريدة .. ومن يشرب الشاي بينما هو يجالس أصدقائه .. ومن يشرب الشاي بينما هو يفكر ... أما أنا .. فأجلس في ركن قصي ... أشرب الشاي بالنعناع ... بينما أنا أشرب الشاي بالنعناع !

كالعادة أعددت أمس الفنجان المقدس .. مسكته في يدي وأنا أهم بالجلوس وأضعه على حافة المكتب ... اهتزت يدي فجأة ... وسقط الفنجان على ظهرها فحرقها تماما ... النار تتصاعد منها ... وعلبة كاملة من الكريم لا تطفأها ولا تثير بها أي نوع من البرودة ... نظرت لـ يدي .. وأنا أفكر: كيف بإمكان الأشياء التي نحبها بشدة أن تبلغ في أذيتنا إلى هذا الحد.. ولو تساءلت : هل الشاي بالنعناع يحبني بقدر ما أحبه .. هل سيبدو سؤالاً مجنوناً؟ .. أليس من حقي أن يحبني قليلا كما بجلته أنا كثيرا وعاملته كجزء مني .. فكرت : منار أيضا لديها "كاركاديه" ها الذي تعشقه ... هل بإمكان كاركاديه منار أن يفعل هذا معها ؟! .. أم أن حظي دائما ما يوقعني في أشياء تنتظر أول فرصة كـ "ارتعاشة يد" فقط كي تبرر قسوتها معي .. وخيانتها لكل لحظة سعيدة قضيناها معا ... هل نحن من سمحنا لها بأذيتنا حين تنازلنا مرة وسكتنا على لسعة صغيرة من فوران الماء وهو يغلي ... أم أن الله فقط أراد هذا .. وما يحدث إلا ما هو مقدر له أن يحدث ، وبقوة كبيرة بحيث لا يمكن منع حدوثه !*.. تذكرت وخزة إصبع "أحمد حلمي" في فيلمه "ألف مبروك" ... الذي حاول أن يتفادها في كل مرة يعطيه اليوم فرصة أخرى بالتكرار .. ولم يفلح فينشك اصبعه كل يوم بطريقة مختلفة .. مرة بدبوس .. ومرة بشوكة سمكة .. وهكذا .. فكرة الفيلم أن هناك أشياء قدرية لا يمكننا تغييرها أو منع حدوثها مهما حاولنا .. كالموت والعمر و وخزة الإصبع !... وكل ما بإمكاننا تغييره هو التفاصيل الصغيرة للواقع .. كالفرح والحزن والرضا والحب والكره وكل ما يجيش به صدورنا ... نحن نستطيع تغيير الواقع ... لكن ليس بإمكاننا أبدا تغيير القدر !.. هل كان مقدر لي أن تحترق وإن لم يحدث بالشاي .. كان سيحدث بغيره .. ربما كان هذا صحيحا ... ولهذا تمنيت كثيرا لو لم يكن الشاي السبب .. لأنني في كل الأحوال لن أستطيع التوقف عن حبه هكذا بكل بساطة لأن ثمة حرق يزداد لهيبه ... ولا فائدة من تعليقه على مشجب الباب في الخارج كي يبرد قليلا !..

أنظر للحرق الآن .. لونه أصبح بني .. وأنا أكره اللون البني .. لماذا لم يكن لونه أزرق فاتح مثلا .. أو فوشيا ..؟ .. لماذا لا تفوح منه رائحة النعناع؟ .. ولماذا لا يعتذر لي الشاي هذا الصباح عما فعله بالأمس؟؟ ... حتى الشاي لا يعتذر ! يا الله ! لا أستطيع أن أعيش بعالم لا يوجد به: "أسف" و "شكرا" !

ما يحدث إلا ما هو مقدر له أن يحدث ،وبقوة كبيرة بحيث لا يمكن منع حدوثه
!.....ساراماجو*

دعاء لم يرتفع بعد !

ماذا لو كان غدا هو اليوم الأخير في حياتي؟ .. يلح على رأسي هذا السؤال منذ عدة أيام وأفكر فيما يمكنني أن أفعله إن تأكدت من هذا حقا.. ورغم أنني أحاول دائما أن أكون فتاة سعيدة بكل ما أملك من رغبة في الحياة والفرح والبهجة وأتجاهل الموت بصورة مريبة كأنه لا يخطر ببالي مطلقا.. بذريعة أنني مشغولة بحياتي الكبيرة عن نهايتي المحتومة ذات يوم .. إلا أن فكرة الموت هذه لا تفارقني على الإطلاق ..و يبدو أن أكثر ما نبالغ في تجاهله وإظهار أننا لا نكثر به يكون أكثر ما يستحوذ علينا ويشغلنا بالنهاية .. دائما ما أتخيل حالي إن ألقيت بنفسي من الشرفة وكيف سيكون شعوري في الثانية التي سأخلق فيها حتى أصل إلى الأرض وأسقط على جذور رقبتي وأتكسر.. أفكر في كل مرة أركب فيها السيارة في ماذا لو فتحت الباب وملت بجسدي قليلا للخارج أمدني إلى الهواء ليلتقطني برفق .. لكنه متعجل جدا ويمضي دائما بسرعة هائلة في الاتجاه المعاكس ..لذا فهو سيثدني بقوة ويدحرجني تحت عجلات السيارة وربما في جانب الطريق حيث يصطدم رأسي بحجر صلد يشج رأسي ..حين أناول السكينة لأمي لتقطع البصل والسلطة ..أنخيلني وأنا أغرسها في بطني وأباغت أحشائي التي تنقبض كثيرا عندما أخجل وعندما أحب وعندما ينتابني الهلع الشديد وعندما أتفاجئ بشيء لم أكن قد أعددت نفسي له مسبقا .. حين يمر قطار البضائع السريع في الساعة الثانية والنصف تماما ويهز الأرض والجدران فأنا أتذكر الحادثة التي كنت قرأتها عن فندق كاد أن ينهار فوق نازليه .. ورغم نجاة الكل تقريبا إلى أن فتاة واحدة لم تستطع أن تفلت من موتها المحتوم والخرسانة التي سقطت فوقها ودكتها بالأرض دكا .. أخاف من اهتزاز الجدران لحظة مرور القطار لأنني أتوقع في كل مرة قالب طوب يسقط عليّ ويفنيني تماما .. أفكر في الموت بكل الأسباب الممكنة والمستحيلة بداية من قطرة ماء تخطو خطأ في قصبتي الهوائية حتى سماء تنطبق على الأرض وشيئا يشبه يوم القيامة أو فيلم ٢٠١٢ .. وأعرف أنني أنتفس في هذه اللحظة وأعيش لأن السيارة فرملت بحدة وبصوت عالي من احتكاك العجلات بالأسفلت وسباب السائق قبل أن يصدمني بستنيمتر واحد .. أعيش لأنني نجوت من السلك المكهرب الذي التف حول جسدي مرة وكلما حاولت أن اتخلص منه بانتفاضات عنيفة التف أكثر وأكثر حتى جاءت أمي ونزعت الفيشة ودثرتني جيدا وأنقذت حياتي .. أعيش لأن معدتي استقرغت كل السموم التي كادت أن تقضي عليّ حين كنت أجلس في درس اللغة العربية بالصف الثالث الثانوي .. أعيش لأنني جريت بأقصى سرعة حين كنت صغيرة وطاردني كلب مسعور مزق طرف فستانتي البرتقالي وأوشك أن يلتهمني لحما

وعظما .. أعيش لأنني تذكرت عين البوتجاز التي نسيتها مفتوحة دون أن أشعلها فهرولت إليها وأغلقتها ثم هويت المنزل وتجنبت مفاتيح الكهرباء حتى اختفت رائحة الغاز تماما من المكان كله .. أعيش لأن أجلي المسمى لم يأت بعد .. ولكنه قد يكون غدا أو اليوم أو بعد قليل ..

لو كان هذا يومي الأخير لكنت ضمنت أمي وقبلت جبين أبي وأغمضت عيني وتشهدت .. لو كان هذا يومي الأخير لكنت تركت وصية من سطر واحد : "إلى كل من أحببتهم وأحبوني ... عفرا على رحيلي .. وشكرا على ذكريات خجولة تهب في صدري كالنسيم " .. لو كان هذا يومي الأخير لكنت كتبت رسائل أخيرة لكل من ارتجف قلبي لأجلهم يوما .. لـ أمي .. لـ أبي .. لـ أحمد .. لـ إخوتي .. لـ غادة .. لـ أسماء .. لـ وفاء .. لـ منار .. لـ رقية .. لآخرين غيرهم .. أخبرهم عن كل ما أظهرته وكنتمته واقترفته وأحببته وكرهته وشعرت به و سكنته وسكنني .. أخبرهم عن وجودي الذي التصق بوجودهم .. وحياتي التي التصقت بحياتهم ولكنها أن لها أن تفارق الآن وهي تعرف أن صوتها الذي لا يتكئء وهنه على شيء الآن .. لن يسقط في الفراغ .. وسيصل !

السر !

حين قرأت كتاب السر من أكثر من عام .. كنت مبهورة جدا به .. وعرفت حينها كيف استطاع هذا الكتاب أن يغير تفكير العالم أجمع .. ويعيد رسم الأحلام وتعبيد الطرق لكل من قرأه .. أمنت به ومضيت أفكر في أحلامي واقعا سيتحقق عما قريب .. طبعا الكتاب يتحدث عن قانون الجذب .. وكيف بإمكان الأفكار السعيدة أن تجذب مثيلاتها .. والأفكار السيئة أن تجذب ما يماثلها أيضا وأن كل فكرة حقيقة وقوة .. صدقت أن مستقبلي هو الأفكار التي تدور في رأسي الآن .. وحاضري هو كل ما فكرت به بالأمس .. ولأنني فتاة مسلمة كانت غصة صغيرة تقف في حلقي .. لأن الكتاب يجزم بأن ما سيحدث هو ما تفكر به الآن بالضبط .. وبقد إيمانك بأفكارك هذه ستتحقق .. جيدة كانت أم سيئة .. ولأنني أو من أن المستقبل غيب .. والغيب في علم الله وحده .. قررت أن أسبق وأتبع كل أحلامي وأفكاري بجملة "إن شاء الله" وأن أجعل إيماني التام بأحلامي هو ثقة ويقين بالله .. ومضيت هذا العام والأيام تبرهن لي يوما بعد يوم على صدق هذا الكتاب وواقعيته .. وأن كل ما جاء به سليم تماما ... ازدادت ثقتي بالسر الذي عرفته وكنت سعيدة بقدرتي على الجمع بين ما يقره الكتاب وما يقره ديني .. وتعجبت كيف يكشفه شخص غير مسلم لنسلم به نحن .. حتى قرأت هذه الليلة مقالة عن الخطة التي أعدها الرئيس أوباما لوكالة الفضاء الأمريكية لتنفيذ في عام ٢٠٢٥ بخصوص نجم صغير سيقترب من الأرض في هذا العام .. وعن ارسال أجهزة إلى هذا الجسم واختياره نقطة وئب إلى ما وراء منظومتنا الشمسية .. وقد التقط مرصد بلانك الجديد صورا ستغير كل القوانين التي نعرفها كما أدت نظرية أينشتاين : النسبية العامة والخاصة، إلى تغيير كل قوانين الفيزياء والكيمياء .. وتفسيرات العلماء لهذه الصور ستؤدي إلى تغيير مبادئ الفيزياء الفلكية وقوانين الحركة والجاذبية وربما نظرية النسبية أيضا ..

وكما قال الرئيس كينيدي لعلماء الفضاء: ستذهبون إلى القمر وتعودون سالمين ... وقد تحقق هذا الأمل .. فإن أوباما سيحقق حلمه أيضا لأنه قال :”أنت تستطيع .. نعم .. أنت تستطيع” وهو على يقين من أنه ووكلته يستطيعون !

كل هذا زاد من إيماني أكثر بهذا السر حتى أنني كنت أقرأ هذه الأحلام وأنا أتذكر أمثلة الكتاب واحدا بعد آخر وأضيف إليها هذا المثال أيضا قبل أن يضيف نفسه بعد خمسة عشر عاما من الآن.... حتى حدث أخيرا وصادفت حديث للرسول "عليه الصلاة والسلام": "لو تعلق قلب ابن آدم بالثريا..لنالها" ..!

يا الله .. قرأت الحديث أكثر من عشرين مرة .. وسلمت وأسلمت برسول الله ألف مرة .. وعرفت أن السر قد أخبرنا به رسولنا قبل أربعة عشر قرناً من الآن .. ولم يعد الكتاب يهمني ولم تعد هناك غصة في قلبي .. وكل هذا الإسهاب والإطالة في الكتاب التي أشعرتني بالملل في بعض فصوله .. قالها نبينا "صلى الله عليه وسلم" في نصف سطر بصورة وتشبيه رائع .. لن يقدر على وصفه شيء!

حين يكتمل الليل والقمر !

من حوالي ساعة .. انقطعت الكهرباء .. كنت في الشرفة العلوية أضع السماعات في أذني .. الدنيا ساكنة جدا و تشبه صمت راهب يتعبد في الصحراء .. بينما الموسيقى في رأسي تهيج وتثور كبحر .. الصورة تنفتح مع الوقت كلما تأقلمت عيني أكثر مع الظلام .. فأشعر أن القمر أضاء فقط عندما انطفأت المصابيح . وكأنه يتمرد في وجودها .. وأنتبه أنه بدر .. ولونه أبيض جدا .. وها هو الليل ينهزم أمامه ويخضع ..

أنا وحدي تماما .. لا يرافقتي سوى اللحن .. أسرتي بالطابق الأسفل .. الشوارع خالية .. والطريق الزراعي ذابل .. تسلفت سور الشرفة .. دون أن أبه لسُمكنه الذي لا يتجاوز ١٠ سم.. ووقفت على حافته .. وفردت ذراعيّ لأحفظ توازني .. الهواء يراقص شعري ويملأ المسافة بين ذراعيّ وجسدي .. لا شيء أمامي سوى البرالاح .. لست خائفة.. وأكاد أن أطير ... غنيت I try to fly away....so high! " ... أغمضت عيني .. فكرت : أنا ربان سفينة والرياح مواتية تماما للإقلاع... قلت : لو رأنتني أمي الآن فستصرخ برعب وربما فقدت الوعي .. أمي امرأة قوية جدا .. ولكن قلبها يضعف كثيرا كلما تعلق الأمر بي ..!

توترت ملامح وجهي فجأة ..تجهمت ..وبدا على وجهي أنني أفكر في الأسوأ ...مددت احدى قدمي في الهواء ..كأنني أهم بالقفز ..والتردد يحتل كل ملليمتر في ..وتراجعت في اللحظة الأخيرة وأخذت أضحك وأنا أخرج لساني في وجه كل شياطين الدنيا ..دائما ما كان يأخذني

التفكير بشيطان يقف على جانبي ويوسوس لي في أذني اليسرى ..ودائما ما علقت كل أخطائي فوق قرنيه ..كنت أفكر ..”الشياطين بإمكانها أن تُدخل أفكار إلينا ..لكن ليس بإمكانها أن تعرف فيما نحن نفكر” .. أنا مؤمنة أن الله وحده يعلم ما تخفي الصدور ولم أكن أحاول أن أثبت هذا ..بقدر ما كنت أحاول أن أخدع شيطاني أنا هذه المرة ...بعد عشرين عاما من الخديعة يمارسها هو عليّ بتسلطقلت لو رأيته حزينه وأهم بالقفز سيفكر أنها فرصته المثاليه ليشجعني بل وربما قدفني بوسوساته ..رفعته حتى عتبة السماء الأولى وهو يظن أنه أخيرا سينتصر ..ثم كسرت قرنيه وألقيته في سابع أرض حين تراجعت أضحك ..كأنني لم أرفعه إلا كي يكون للسقوط دوي أكبر ...أو لا شيء من كل هذا ..ببساطة شديدة ..أنا كنت فقط.... أخدعه !

نزلت من فوق السور ... و انتبهت للموسيقى في أذني ..تمايلت يمينا ويسارا ..نثرت شعري وألقيت بالمشبك على الأرض ..وقذفت ” الشبشب ” من رجلي..وبدأت أرقص حافية ..تذكرت شعري قبل أن أذبحه من شهرين ..وترحمت على العجربة التي كانت تبعثره وترقص في مهرجان الغجر في موكاندو. لم يعد قصيرا جدا ..ولكنه ليس بالطبع ربع ما كان ..نسيت شعري سريعا ولم أعرف كم من الوقت مضى وأنا أرقص ..وأدور ..كفراشة في صندوق الموسيقى ..تبدأ في الرقص والدوران فور فتح الصندوق ...شعرت بشعري يطول ..وبجسدي يخف كورقة ..ولم أنتبه للمكان إلا عندما رجعت الكهرباء فجأة وأضاء عمود الشارع في وجهي..كنت كسندريللا باغتها الوقت وتحولت من أميرة في قصر ملكي إلى صعلوكة حافية تغسل الصحون لزوجة أبيها ..لم أتوقف ..وأكملت دورتي ..حتى دُخت تماما وسقطت على الأرض ..شعري يلتصق بالماء على جبيني ..وقلبي يدق كمجنون لأن الدم لا يطاوعه ويجري في رأسي ...حيث انخفض الموج فجأة وهذأت ثورة البحر وحلق نورس في جبين السماء حين سقطت السماعات من أذني وانفرطت على الأرض حبات الموسيقى !

الحب بداية ونهاية وفصول أخرى !

- إن سألوني عن الحب ..فلن أجيب !

- إن سألوك عن الحب يا صديقتي فتحدثي عن كل الأشياء الجميلة في الكون ..تحدثي عن الفرح والضحك والألوان والمطر و القبل والشيكلاته والزهور والأعياد والأحلام والنجوم وارفعي أصابعك لترسمي بها قوس قزح يميل من السماء على قلبك ..ثم ابتسمي .. واسرحي كثيرا !

وإن سألوك عن الحب فتحدثي عن كل الأشياء السيئة في الكون ..تحدثي عن كل الألم على الأرض حين ينسكب في قبضة يد بحجم القلب تماما .. عن طعم الملح في الدموع ..عن الوجوه

الشاحبة والجثث المذبوحة في الحكايا.. عن الضياع والغربة والموت ..ثم تأوهي .. وابكي كثيرا كثيرا !

أنا حصة صغيرة في أقصى الأرض !

أنا أتوه في النصوص الدينية ..أشعر بالعجز وبضآلتي الشديدة أمامها ..أذكر مرة طلب مني شخص أن ندخل معا "موضوع ديني" في أحد المنتديات لنتناقش .. كان يعرف أنني أحب جدا هذا الشيء ..فرحت بطلبه ..وبدأ هو ..وجاء دوري ..اختفيت لأكثر من ساعة ..توترت واربتكت ..ولم أعرف ماذا اكتب ..وجاء ردي ردينا وكرهته جدا ..أنا التي أحب كل حرف أكتبه وأرضى عن كتاباتي بشكل كبير ..ليس لأنني أراها جيدة وتستحق الرضى ..وإنما لأنها أتية من ذاتي ..ولأنها تنتمي إلي بصورة لا مثيل لها ..وأنا لم أشعر من قبل بشيء كامل ينتمي إلي..وإن كنت أنا انتميت للكثير من الأشياء التي أرهقتني جدا ..واستنزفتني كعدو!

أنا خائفة ! ...خائفة كثيرا !..خائفة من رمضان هذا العام أكثر من أي وقت مضى ... رغم أنني كنت سعيدة جدا جدا رمضان الفائت ...حتى أنني كتبت آخر ليلة :

"اليوم آخر أيام شهر رمضان..ولا أكاد أصدق...الليلة الماضية رجوت رمضان أن يترث قليلا ولا يمضي سريعا كما جاء سريعا ..سرفت حقييته وأعدت غسل النهارات وكى الليالي كي أعطله قليلا..أردت أن أرتبها من جديد وأخبي نفسي في طيات ليلة ..كي يرحل بي على غفلة منه بعدما رفض صحبتي..وها قد نجحت في تعطيله..والجميع يتعجب"كيف للهلال أن يظهر في سماء الشرق والغرب ولا يظهر بينهما؟!". ..ووحدي أعرف السبب ولا أنطق ..ولأنني لم أراقب سفره قبل هذا العام ...لا اعرف طقوس رحيله..هل سيقف أمام المرأة يعدل من هنادمه..ثم يراجع حقائبه ويفتحها كي يتأكد أنه لم ينس شيئا..وهل سيكشفني فيياغتني بابتسامه خبيثه ..وأنظر إليه نظرات خجلي فيلتقطني ويدفعني برفق خارج أشياؤه ويعدني كما نعد الصغار أنه سيأخذني معه في المرة القادمة..لا أعرف ولكن لساعات قليلة سأكنم أنفاسي فلربما تاه عني.

صدقا سأفتقده كثيرا...سأفتقد صلواتي قبل الفجر كل ليلة مع أمي...سأفتقد بحثنا بعد الفجر في أرجاء المنزل عن كل الوسادات ...فنأخذها ونغطي بها أرضية الشرفة كلها ...ونرقد فوقها..أضع رأسي فوق ذراع أمي ونحرق معا في السماء ..نكتشف النجوم ونراقب الليل وهو ييزحف نحو الغرب كغول ثقيل يرهبه النور الآتي من الشرق...

أنا وأمي لنا نجوم تخصنا وحدنا ...لا أحد غيرنا يميزها ... وعندما أسافر تحت سماوات أخرى ولا أجدها ...يحفر الحنين قلبي بملعة...بقافلة النجوم الباهته التي تصر أمي أنها تأخذ شكل ملعة وأصر أنا أنها مضرب تنس ...أخبرها أنها لا ترى باقي استدارة المضرب وأن رمضان والأكل وأدوات المطبخ والملاعق أثرت في نظرتها للأشياء...وتخبرني أنني لم أفيق بعد من هزيمتي النكراء في شوط التنس الوحيد الذي لعبته في حياتي...فبت أراه في كل

الأشياء....نصمت ونسرح للبعيد وأعود على صوت أمي وهي تقول بفرح: انظري...القمر الروسي..القمر الروسي!!" أنظر حيث تشير وأرى نجما باهتا يمشي في سرعه وثقة بين النجوم...يعرف طريقه جيدا ..كرجل أعمال يحسب وقته بالثانية...ماضيا إلى احدى اجتماعاته المهمة...أقول لها "ليس بالضرورة أن يكون القمر الروسي....كل دولة الآن لديها قمر واثنان".تقطب جبينها وتصر " هذا هو القمر الروسي...كنت أجلس أنا وجدتك نفس جلستي معك وكانت تخبرني بذلك " ..أنا أنفي كونه "الروسي".وأمي تصر...وأمام اصرارها أضحك وأستسلم ..أقول "بعد ٢٥ عاما ساجلس مع ابنتي أيضا...وسأشير لها وأقول هذا هو القمر الروسي..ستقول ياماما الشارع المجاور أطلق قمرا الشهر الماضي!!" وسأصر..!..تضحك أمي وتعود لتسبيحها وأعود أنا للبعيد...أتراخي داخلي ..ويعود ذلك الاحساس الضبابي مجددا ..أندثر ..وأذوب....أرتفع إلى النجوم...فأضيء في سماء الله....!"

يا اللهلماذا أنا خائفة هكذا؟ ..ولماذا لست نجمة كالعام الماضي ؟...انا كوكب؟ ..لا ..لا أنا قمر؟..لا أيضا ...أنا قمر صناعي؟؟!..لا لا .

أنا حصة صغيرة في أقصى الأرض تحلم بأن تأمن وترتفع فقط!

أمني يا الله..!

ثرثرة سريعة !

أريد أن أحصل على ساعه واحدة فقط أو ساعتين من النوم واعجز ،، الساعة الان الخامسة والنصف فجرا ..ضبطت منبهى منذ قليل على السابعة والنصف ..وأغمضت عيني أبحث عن النوم في الظلام حيث يجب أن يكون ..لكني اكتشفت أن _الطفل النوم_ ليس ضائع ..لكنه مخطوف ..وهكذا لن يجدي بحثى عنه مهما حاولت ..فهل عليّ أنا أن أوجه النداء لمن سرق طفلي النوم مني وأرجوه أن يعيده إليّ في مقابل قرط ذهبي ..لأنني لم ألبس قرط في حياتي ..رغم أن لدي ثلاث ..لكنني أكره الذهب عموما ..والأقراط بصفة خاصة ..وأريد أن اتخلص منهم بأي وسيلة لأن أمي تلح علي أن أرتدي واحدا فالأنوثة كما تقول تكتمل بهذه الأشياء ...وأنا راضية عن أنوثتي بهذا الشكل ..ولا أبتغي كمالا أكثر ، والآن يا عصابة "اللهو الخفي " ..ياخاطفي "تومي الطفل" ...هل تقبلوا أقرابي مكانه؟؟

اليوم يجب أن يكون يوما مميزا جدا ...أنا لا أفرض هذا ..فقط أتمنى من الله لو كان !..لأنه عيد ميلاد عادة ..توأم قلبي..وأنا أريد أن أسعدها بشكل لا مثيل له كما تسعدني هي دائما ..ولا توجد في رأسي الآن خطة معينة ...لأنني وضعت أكثر من عشر خطط ..وقمت بأكثر من عشرين مكالمة وبعثت كم من المسجات فشلت في عده ..ولكن لا شيء يتم كما أريد ..لذا سأسلم الأمر لله وأنا أثق في تخطيطه حين يريد الخير كله لنا ..وليس بإمكان أى كائن افساد خطته..كل ما أريده فقط الآن أن أنجح في النوم كي أصبح والحياة تجري في عروقي مجرى الدم ..رغم أن عدم النوم يأتي دائما بنتائج أكثر ايجابية في أيام الخروج و"الفسح"..حين يخلو اليوم من شيء يستدعي التركيز والفهم وتشغيل المخ ..ويكون فقط "التهيبس" هو سيد النهار ..فنتكلم بلا تفكير ..كأن الكلام لا يأتي من منطقة ما في المخ ..ولكن من منطقة أخرى لا تعرف شيئا عن

“المفروض ما نقولش كده!”..فنفسح عن كل ما لا يجب الافصاح عنه ..ونضحك حين يجب أن نضحك ..ونضحك أيضا حين يجب أن نبكي ..ونضحك أيضا وأيضاً حين يجب أن نسكت ..!

لن أنام إذا لأنني أضحك وأنا يجب أن أنام !

من ساعة .. ارتكبت حماقتين كبيرتين عليّ بحجم قميص أبي القديم الذي ارتديه الآن .. وأمي التي تصرخ في كلما رأنتي تريدني أن أرتدي شيئاً من ملابسي بدلاً من هذه الملابس التي لا تعطيني ملامح .. وأنا أبحث عن الحرية في كل شيء لأنني مللت العوالم الضيقة .. والأماكن الضيقة .. والشوارع الضيقة .. والغرف الضيقة .. والملابس الضيقة .. أو حتى التي تناسبني تماماً .. لأنني أريد البراح ولا أجده إلا في الأشياء الصغيرة حيث صفحتي هنا .. ”حكاوي القهواي” .. حين أكتب في موضوع وأنتقل إلى آخر دون أن أرتبط بشيء معين أو فكرة محددة تجبرني على الالتزام بها وحيث قميص أبي !

حسنا .. حسنا .. أعرف أنني ابتعدت عن الحماقين التي ذكرتهما _ ليس كثيرا ولكن من يقرأ سيظنني نسيت ما كنت سأقوله _ .. لا . أنا لم أنسى .. ولكنني كنت أريد أن أراوغ قليلا لأنني ندمت على اعترافي .. وأنا أكره زر المسح للخلف أكثر مما أكره كلمة أنت في غير مكانها .. أو اعتراف ينبغي ألا يأتي ! ... ويبدو أن مرحلة التهئيس بدأت لأنني كدت أفصح عما لا يجب الافصاح عنه !

أستاءل الآن .. لماذا أكتب في هذه اللحظة ؟... ومن يهـمه كل هذه التفاصيل التافهة؟ ... ولماذا أسرد كل شيء كـمـذيعـة النـشـرة حين لا تخفي شيء ؟ .. لا .. لا ... أنا كاذبة في الجملة السابقة لأنني أخفي الكثير من الأشياء تحت البلاطة السحرية الملامسة لـقـدماي الآن .. حيث لا يستطيع أي إنسان بالعالم تكهن ما تحتها.. أنا فقط من أعلم بسرّها لأنني الفتاة التي انتخبها الجن أميرة لحكاياهم !

“البلاطة السحرية” ... لم انطق هذه الكلمة من زمن يتكون من سنوات ،، ونطقتها الآن دون وعي ... في صغري كانت تسليني كثيرا .. لأنني كنت أصدق أن البلاطة الأخيرة في زاوية الطرقة في المنزل .. هي البلاطة السحرية .. وأنني إذا وقفت عليها ولم يراني أحد .. ستأخذني وتنزل إلى عالم يشبه الجنة يكمن أسفل المنزل .. عالم مليء بالشيكولاتة التي يمكنني أن آكل منها قناطير دون أن أتعب ودون أن أشبع ودون أن تأتي أمي لتقول ” سنانك هتسوس ... كفاية كده !” .. عالم يخدمني فيه ولدان مخدودون لهم أجنحة قصيرة تشبه أجنحة الكتكوت “وندي” .. سيساعدونني أن أركب “المرجيحة” لأن أبي لا يوجد ليرفعني عليها و قامتي مازالت قصيرة جدا ولا يمكنني أن أركبها وحدي ... وحين تطول قامتي ويصبح بإمكانني أن أفعل هذا وحدي ... سيكون من المخجل أن أفعل !! .. دائما ما بررت عدم نزولي بالبلاطة بأن شخص ما يراقبني والتعليمات تقتضي ألا يراني أحد .. أو بأن هناك كلمات سحرية عليّ أن اتمتع بها كي تأخذني البلاطة وتنزل فأقف طوال النهار أهمهم بخزعبلات ... ولا شيء يحدث .. لم أيأس في يوم أبدا .. كنت أملك من عناد الأطفال ما يجعلني أقف عمرا فوقها !.. وهذا يجعلني أتساءل الآن .. لماذا مشيت إذا؟؟ ... ربما فقط لأنني لم أعد طفلة !..... ياااااااااااااااااه ... أتذكر الآن

كل الساعات التي قضيتها وأنا أتخيل واتخيل هذا العالم القريب جدا على مرمى بلاطة ..والبعيد جدا على مرمى سماء مقلوبة لأسفل ..حين تكون الأرض التي أقف عليها أعلى !

الليلة الفائتة حدثت لي صدفتين جميلتين جدا ...الأولى حين كنت أتمشى مع أختي في شارع محب ..وصادفت شابا وسيما أحبيته مرة ..وتقاطعت نظراتنا في نصف نظرة لا أعرف كم دامت حقا ..كانت طويلة جدا ..رغم أنه كان يمشي عكسي ..وكان زمن عبورنا أقل من ثانية ..بعدها ابتسمت ومال في قلبي غصن بشكل شريان .. ومشيت أضحك من الصدفة دون أن أفكر في شيء معين يخصني أو يخصه ..وبعدها ضحكت على ضحكي ..ثم ضحكت على ضحكي من ضحكي ..وكل ما أردته أن اعود سريعا للبيت كي أفتح شاشتي واكتب :”أنا مليئة بالضحك” ...لكنني عدت وانشغلت بالخطط الكثيرة التي وضعتها والتي فشلت جميعا ..ونسيت...! وحين تذكرت لم أضحك !

أما الصدفة الثانية ..فلم أتوقف عندها كثيرا لأن السيارة أسرع ..وكنت مشغولة جدا بالغناء :”أنا مش مبيناله أنا ناوياله على ايه ...ساكنة ومستحلفاله ومش قايلاله ساكنه ليه !”

مرت ساعة منذ بدأت الكتابة ..ومن يقرأ سيظن أنني أكتب بتواصل لكنني لا أفعل هذا لأنني أكتب كل فقرة ثم أقوم من مكاني ..أتفرج على الهدية قليلا ..وأعود لأواصلسعيدة جدا بها ..وأتمنى وأتمنى لو تعجب عادة ...الهدية مجموعة من الصور لها ولنا معا ولبقية الأصدقاء وأشخاص تحبهم ..كنت قد التقطتها بكاميرا الموبايل ..بعض الصور حديثة من حوالي اسبوعين ..وبعضها من أكثر من عامين ..طبعتهم في استوديو تصوير واشتريت أمس ألبوم شكله جميل جدا مرسوم عليه فتيات فاتنات يشبهن أميرات القصور ..في الحقيقة يشبهن أنا وعادة وبقية الأصدقاء ..لا.. في الحقيقة هن نحن فعلا ! ...كنت أفكر بأن أكتب في ظهر الصور رسائل قصيرة لها ..وتراجعت عن الفكرة خشية على الصور ..وجدت فكرة أخرى يدي تقارب ذيلها ولم أمسكها تماما بعد !

الساعة تجاوزت السادسة والنصف ..ولأنني تخليت عن فكرة النوم تماما ..سألغي منبهى المضبوط على السابعة والنصف ..وسأذهب لأتفرج على الهدية !

قصة قصيرة عن محاولتي لكتابة قصة قصيرة !

أجلس طوال النهار أمام الشاشة ألف خصلات شعري حول اصبعي حيناً ..وأفرك جبهتي حيناً وأنا أحاول بكل الطرق أن أكتب نصا ملتزما بقواعد الكتابة !..حتى أحبطت في النهاية ..وأنا أردد ..”ليس بإمكانني أن أفعل” ..تضايقت جدا وشعرت أنني أعجز عن كتابة شيء حقيقي يندرج تحت بند “كتابة بأصول” ..كنت أنوى أن أشارك بمسابقة أدبية واخترت مسابقة القصة القصيرة..ورغم أنني أحلم بكتابة رواية إلا أنني تجنبته لأنني لم أحبل بأبطالها بعد .رغم أن

الرواية مشروع مريح أكثر لأنه سيكون بإمكانى حينها أن أتحدث وأسرد وأنا أشعر أنى أقف على حافة الفضاء ومجال تضمين الأفكار متسع بلا نهاية لكننى خفت أن أتوه ..وآلا أصل ..وهكذا لجأت للقصة القصيرة ..والمطلوب مجموعة قصصية لا تقل عن ١٢ قصة ..تصفحت الننت أبحث عن شروط كتابة القصة القصيرة وقواعدها ..ووجدت الأمر سهل جدا ..مكان وزمان ووصف للشخصية .. وعقدة وحل أو كما يطلق عليه لحظة التنوير في القصة..أعجبني الكاتب الانجليزي "ويلز" وهو يقول في وصفها : "لا يهم أن تكون خفيفة أو دسمة ..انسانية أو غير انسانية..زاخرة بالأفكار التي تجعلك تفكر تفكيراً عميقاً بعد قراءتها..أو سطحية تُنسى بعد لحظات من قراءتها المهم أن تربط القارئ لمدة تتراوح بين دقيقة وخمسين دقيقة ..ربطاً يثير فيه الشعور بالمتعة والرضى" ..تهيات ..وفتحت صفحة بيضاء ..كتبت:

"غرفة مطلية بالبحر ..والسماء معلقة سقفاً ،،يتدلى منها قطن أبيض بشكل سحب..تعيش بها منذ نعومة أظلامها ..منذ أن صدقت ذات نهار صيفي أنها سمكة !"

وتوقفت لأنني اكتشفت أنني لا أستطيع أن أكتب قصة قصيرة لا علاقة لها بي ..وإن كنت أريد أن أكتب قصة بعنوان : "صرصور الحقل والصفارة في حلقه!" ..أو أن أكتب عن عجوز ..تعبر حياته أمامه لحظة عبوره للشارع ..أو عن اثنين مراهقين يمارسان جنونهما أعلى التلة .. أو عن شجرة تعبت من وقوفها وتحلم بأن يأتي يوم وتستريح ..كنت أريد أن أخفي ..وأن أكتب ما لا يمت لي بصلة .. أن أتحرق من دوراني في فلك دعاء ..لأن تحرري من قواعد الكتابة لا يعني أنني حرة تماماً ..أنا مسجونة في فضاء ذاتي ..وأحلم فقط لو أنني عاكست الجاذبية وانفلت من مداري إلى سماء الله ..فأكون أنا أنا ...ولا أنتمي لـ أنا ..أراقب العالم وأراقبني وأرى الأشياء بعين لا تخصني ..والرؤية تتضح أكثر ..وعجزت أن أفعل ..لأنني لا يمكنني أن أحكي شيء لا أشعر به ..أنا أستطيع أن أكتب أشياء كثيرة عني قد تكون حقيقية ..وقد أتخيلها ..المهم أنني أصدقها ..أستطيع أن أكتب ١٢ قصة قصيرة عن دعاء ..ولا يمكنني أن أكتب قصة واحدة عن عجوز أو شجرة أو صرصور ..قبل أن تسحرني الجنية لأحدهمأوووه ..أنا في ورطة ..! كل هذا ياربي من أجل قصة قصيرة .. !

من لحظات أنهيت حيرتي بأنني لغيت فكرة المسابقة ..وتكفيني يومياتي ..وهمت بأن أغلق صفحة الـ word هذه .. ولكن شيء ما داخلي رفض أن أضغط على "x" رفض أن أخرج من ورطتي بالهروب منها ..رفض أن أحنى أمام قصة قصيرة رفضت أن تأتي وأنهمزم ..لن أضغط على "x" وسأكتب أي شيء ليس مهما خفيف أو دسم ..انساني أو غير انساني ..عميق أو سطحي ...سأكتب قصة قصيرة ..ولأن الصعوبة تكمن دائماً في "قصيرة" ..سأبالغ في التحدي وأكتب "قصة قصيرة جداً":

"رغم أن الشجرة العالية في الغابة..حلمت طوال الصيف بأن تجلس وتستريح قليلاً .. إلا أنه حين جاء الشتاء وانحنت كل الأعشاب والعيذان الضعيفة أمام الريح بانهازم ..شعرت الشجرة بكبريائها حين انتصرت على الريح..وصدتها"

يا اللهيبدو أنني انتصرت !

الخبز الحافي لمحمد شكري !

“كل قصة انسانية هي مأساة إذا امتدت بما يكفي لذلك” “هيمنغواي”

لو كانت هذه الرواية من نسج خيال مؤلف لكرهتها كثيرا ... ولكنها جاءت _للأسف_ سيرة ذاتية أعجز عن تصديقها لرجل عاشته الحياة لا هو من عاشها ... أنهيتها من ست ساعات تقريبا .. وجلست مسمرة في مكاني أنظر لصورة شكري على الغلاف وأسأله : كيف بإمكانك أن تدقني هكذا في مكاني .. وبأي مطرقة فعلت يا صعلوك القرن العشرين ؟” ... لا أعرف من أين أبدأ الحديث عن هذه الرواية ... الكلمات في رأسي كثيرة .. والبداية تحيرني .. هل أبدأ بداية تقليدية وأقول : الخبز الحافي ... رواية عالمية للمبدع المغربي “محمد شكري” ... رواية ترجمت ونشرت بـ ٣٩ لغة .. قبل أن تُنشر بالعربية .. وعرضت ك فيلم رائع في مهرجان كان عام ٢٠٠٥ .. وأستغرب لرواية ترجمت لـ ٣٩ لغة دون أن تثير الضجة في المكتبات التي أتردد عليها كهذه الرواية التي ترجمت إلى الانجليزية فقط وصارت هذه الجملة تكتب وتعلق في كل مكان كانجاز غير مسبوق ! .. فهل لا يشفع للخبز الحافي أنها أثارت الضجة في العالم أجمع ؟ ... لا لن أبدأ هكذا .. هذه بداية حمقاء ولا تعجبني ... هل أقول : الخبز الحافي سيرة لطفل متصعلك بوهيمي تنبثق كلماته وتفصيل سيرته كانبثاق الدم والقيح من جسد ملتهب لا ... لا تعجبني هذه أيضا .. الرواية جريئة جريئة جريئة والكلمة الأصح “شجاعة” وتبرز الوجه الآخر للانسانية .. وتقول كل مالا يمكن أن يُقال أبدا ... ومن هنا يأتي عجزي ... حسنا .. سأضع حدا لحيرتي وسأبدأ بلسان شكري :

“سألتني سعاد: لماذا لا تكتب ما تحكي ؟ .. قلت لها: ما لا يُحكي هو ما يكتب “ .. وهكذا كتب شكري أسرارهِ جميعاً متجاهلاً أن الكتابة جريمة تشهر به حد النخاع .. كتب بجرأة وشجاعة سأظل أحسده عليها ما تبقى من عمري .. كتب عن أب عاطل .. قاسي .. شرير كـ شيطان .. قتل أخوه في لحظة غضب .. “إن موت أبي في ذهني تم في اللحظة التي مات فيها أخي .. اننا لا نقتل أباءنا بقدر ما يقتلون انفسهم فينا .. إن الأب هو الذي يجعل أو يؤجل .. يقصر أو يطيل موته في أبنائه .. فالموت درجات متفاوتة” .. كتب عن حياة السكر والجووووع ... الجوع والصعلكة والعاشرات والبورديل ورفاق الشوارع والريف المغربي البشع والأكل في صناديق القمامة : “إذا كنت لا أكتب إلا على المرأة المدنسة الخاسئة .. فلأنني أكلت خبزي بين العاهرات” .. كتب وكتب عن العرودة حتى تقيأت في مشهد أقرفني كـ ثيبيبيبييرا .. أنا التي لم أكل منذ ثلاثة أيام أي شيء .. وأعيش على الماء والسفن أب .. تقيأت في مشهد في رواية .. حتى الآن لا أصدق .. وسأعذر كل من يقرأ هذا السطر ويعجز عن التصديق .. آه يا شكري .. كيف انطويت أيها المجنون على هذه الوحشية وهذا الحنان ... كيف كنت دموي شرير فضّاح وقديس في وقت واحد .. وحملت أميتك فوق أكتافك حتى العشرين من العمر .. لتبدأ صلتك بالقراءة والكتابة في هذا السن حيث أقف أنا تماماً الآن .. حيث عرفتك وأحاول أن أمحو أميتي بأميتك .. وأستبدل عشرين عاماً من

عمري ..بعشرين عاما من عمرك كانت كافيه تماما لتتطبق عليك مقولة “هيمنجواي” :”كل قصة انسانية هي مأساة إذا امتدت بما يكفي لذلك!”.....متعادلين إذا !

لم ينتهي حديثي عنك ... سأذهب لألتقط أنفاسي وأعود ...وفي الطريق منك وإليك سأفكر في جملتك :”ما الحياة إن لم تكن؟”

فصل في حياة رجل عادي !

ماذا يفعل الناس بأوقاتهم ؟.. وفي أي سوق ينفقون أيامهم؟

تتساءل في ضجر ..دون رغبة حقيقية بأن تسمع اجابة ..أنت التي قادتك الدنيا إلى كل الأسواق وصحبتك في كل الدروب _أو هكذا تظن_..لا تتوقع من الناس اجابة مفيدة ترشدك لدرب تجهله ..لأنك الضائع الذي مشي الكرة الأرضية كلها سيرا على الأحلام..طابعا مقاس حذائه في الشوارع والمقاهي والمطاعم والسينيمات والغرف المستأجرة تاركا حقيبة في كل مطار وميناء لتعود سريعا وتغادر ..تبحث عن الوطن في عينا امرأة عابرة تجلس على طاولة أمامك في كافيتيريا المطار تحتسي كوب من عصير البرتقال وتنتظر شيء لا تعرفه أنت ..لكنك تتمنى ألا يكون رجل ..تتمنى هذا وفي رأسك امرأة اخرى سألتك ذات ليلة :”متى تشعر بالأمان؟” فأجبت:”في حضانة أي امرأة !”.. تبرر بلامبالاة :هكذا هم الرجال !..وتميل على شفطيك ابتسامة ساخرة حين تتذكر تحذير “أحلام مستغانمي ” الذي طبعته فوق اصدارها الجديد “نسيان.كم” حين كتبت:”يحظر بيع هذا الكتاب إلى الرجال”...ورغم افلاسك الوشيك في هذا اليوم ..ضحيت بوجبة غداءك..وبجلوسك على المقهى وتسكعك في الشوارع لأيام تالية كي تشتري الكتاب ..كان بإمكانك أن تشتريه وقت آخر ..ولكن الجملة ظهرت أمامك في صورة نساء العالم كلهن يمدن ألسنتهن في وجهك ودائما ما كنت أنت الأكثر عنادا فاشتريته دون أن تأبه بجيبك الذي أخرج هو لسانه الأبيض في وجه كل مشاويرك القادمة...لكنك تعزيت بعدم اضطرارك للخروج في اليومين القادمين لأنك ستنشغل بالقراءة..وحين انتهيت من الكتاب تمتمت “لسنا بهذا السوء !”...ونهضت من مكانك تستبدل ملابسك وترتدي حذاءك ..وتغادر ..ومع أول خطوة في الشارع أردفت:”نحن أسوأ !”..كثيرا ما ظلمت نفسك يا أنت ...الناس جميعا يفرضون السوء في الآخرين ..ويعلقون أخطاءهم فوق مشجب الغير ..ويشعرون بالظلم عند كل حزن ..أما أنت فتفرض السوء كله فيك ..وتعلق أخطاء الآخرين على مشجبك دون أن تنسى أن تكومها في حقائبك عند كل سفر..ولم تشعر بالظلم يوما ..حتى أنك ضحكت مرة من طبيب نفسي كان يتحدث في التلفزيون ويقول”كل انسان يشعر في داخله بالظلم ..حتى وإن كان ملك”..فهل أنت من تظلم نفسك دون أن تدري..هل أنت جيدا بما يكفي؟...يكفي أنك لم تخدع يوما أي امرأة باسم الحب ..وان كنت عرفت من النساء ألف...ولكن هل خدعتهم بأسماء أخرى ؟...تعرف أن الحب هو الخديعة الكبرى ..لكنه ليس الوحيدة ..هو فقط الأعظم !

تجلس لتدخن سيجارة على مهل .. بجوارك "عبد الوهاب" يغني.. "جفنه... علم الغزل" .. الأغنية التي تحبها أكثر.. تفكر في الموسيقى المكونة من خطوات .. كأنها خطواتك .. وتتساءل هذه المرة بدهشة حقيقية : إلى أين ستأخذك؟ .. لازلت شابا لكنك كما يقول جاهين: "شاب لكن عمري ألف عام.. وحيد وبين ضلوعي زحام" .. فأين ستأخذك الخطوات هذه المرة يا صاحب الألف عام تشرد ؟ حزين ولا تعرف .. وتقرر للمرة الأولى في حياتك بأن تفعل شيئا جديدا .. هذه الفكرة التي تشغل كل الخلق .. كل الناس تريد أن تفعل شيئا جديدا وغالبا ما تظل هذه الرغبة مجرد رغبة .. يكررون قولها وسماعها بين بعض كل صباح ومساء .. فهل أصابتك العدوى كالانفلونزا وغدوت مثلهم .. أنت الذي لم تختلف عنهم قط .. ولم تشابههم يوما .. أصبحت مثلهم !... وحدهم تعرف أن الأمر ليس معقدا كما يبدو .. ولكن فلتدع كل هذه الأفكار الآن التي بمجرد أن تأتي واحدة حتى تأتي صديقتها وصديقتها وصديقة صديقتها ويغدو الأمر كحساب قتي وسيم يضع صورته في الفيس بوك.. المهم أنك تريد الآن أن تفعل شيئا جديدا يقتلع الضجر من جذوره ويلقيه في الشمس ليذبل ويموت فترقص رقصة هندية على جثته دون دم أحمر على وجهك أو نار تدور حولها وتغني .. ودون حاجة للريش حول خصرك أيها الهندي الأحمر .. هل يبدو هذا الفعل شيئا جديدا؟ وإن كان يعيبه فقط أن الضجر شيئا معنويا لا تستطيع قتله .. يمكنك أن تضع رمزا إليه .. ويمكنك أن تتشغل بتفصييلة أخرى هي اختيار شيء كرمز .. ولكن هل ستبدو مجنونا إن عرف الناس حقيقتك كهندي وكأحمر؟ ... لا يهم .. تستطيع أن تفعل هذا في غرفتك دون أن يعلم أحد .. تستطيع أن تقيم حفل تأبين ضجرك كما يحلو لك حتى لا تكون فضوليا مرة أخرى وتطلق سؤال كـ "ماذا يفعل الناس بأوقاتهم؟" .. تعرف أنك ستفعل لأنك تنفذ كل ما تفكر به دون أن تهتم بمدى العقل فيه .. وتعرف أن الشهيقة العميق الذي تأخذه في هذه اللحظة سببه أنك تنوي أن تزفر الكثير من الأشياء داخلك .. وتعرف أنك ستأتي بعد حين وتغني : "ونشدنا ولم نزل .. حلم الحب والشباب ... حلم الزهر والندى ... حلم اللهو والشراب !"

أن تجلس وحيدا يعني أنك تفكر في شيء ما .. أو أنك حزين بشكل ما .. أو أنك مللت الكلام لسبب ما .. أو أنك لا تجد من تجالسه لظروف ما ... أو لا يعني أي شيء إطلاقا .. فقط أنت تحرق في الفراغ برأس فارغ .. وغالبا ما تكون أنت كل الأشياء ولا شيء في نفس اللحظة .. لأنك لا تعرف حد فاصل بين كل المتناقضات في هذا الكون .. ولأن هذا العالم يدوئك كأرجوحة ملاهي .. تدور وتدور .. دون أن تميز بداية اللفة من نهايتها .. ودون أن تصل أخيرا لشيء .. أن تجلس وحيدا وصامت .. لا يعني أنك بالضرورة تفعل كهذا الشخص الذي يظن أن جلوسه على هذه الحالة سيلفت أنظار الكثير من النساء .. لأنه رأى أن جاذبيته في صمته .. أما أنت فهذا الأمر من الأمور القليلة التي استطعت أن تصل لقناعة فيها .. لأنك منذ ألف عام تحاول فهم العالم والمشاعر والعلاقات والقلوب وأنت .. وتعجز حتى عن فهم دورة حياة الصرصور .. لأن هذه الحياة معقدة جدا .. وأنت تصدق تماما مقولة الأديب الروسي "جوجول" الذي أصابه الجنون سنوات قبل وفاته قال: "حياتنا صعبة معقدة .. ومن المستحيل ألا نكون مثل هذه الحياة .. فنحن نولد عقلاء .. ولا نزال نقاوم ونقاوم حتى ننهال مجانين" .. وصاحب هذه العبارة لم يكن مجنونا عندما قالها .. وإنما صار بعد ذلك ! .. ما يهم الآن أنك استطعت الوصول لشيء .. وأن الصمت والوحدة والابتسامة قد تفلح في أن تجذب نظر امرأة .. ولكن لن يتعدى الأمر ما هو أكثر من هذا

..أما أن تكون “أنت” أمام امرأة ..لا تفكر في أي محاولة للفت نظرها ..فـ “أنت” دون أن تدري قد تطيح بقلبها تماما .. دون حاجة لأن تتجمل ..أو تبتسم ..أو تصمت ..أو تجلس وحيدا ..لأن قلبها سقط مع ضحكة عالية سقطت منك سهوا ..حين تحدثت وتكلمت عن كل الأشياء دون أن ترتب أفكارك جيدا .أو أن تسهر ليلة تفكر فيما ستقوله ..كنت صادقا جدا ..وكان صدقك فاتنا وساحرا وكان الوقت يمضي على طبيعتك بين أحزانك وأفراحك وانتصارتك وانهزاماتك وارتفاعك وسقوطك وضحكك ووجومك وسجائرك ومراقبتك لدوائر الدخان ترتفع ببطء كغبار جني خرج من صدرك للتو واختفى ... حين أفصحت عن أشياء كثيرة ولم تقصص عن أي شيء وأيقنت هي أنها أمام الرجل البحر ..وأنها مهما روت شاطئها بمياهك فلن ترتوي ..ولن تنتهي ..وأن مدك سيفاجأها في كل مرة دون أن تعتاد عليه يوما ..تعرف أن هذا كله ليس لأنك رجل مميز في أي شيء ..ولكن لأنك حين تشق صدرك أمام امرأة فلا يكون أمامها سوى أن تجمع الدم الكثير وتعود به إليك ..حين تحتويها أنت تماما فلا يخطر ببالها أن تغادر قلبك يوما ..ولكن معظم الرجال يجهلون كيف يفعلون الأولى والثانية ! ، والآن ..أنت بصحبة وحدتك ..وا احتمال أخير ..أن في رأسك تتردد قصيدة قرأتها مرة وتعيد نفسها كأغنية في مشغل الأغاني :

“إنني مرتبك

فساعدني على النسيان

إنني ضجر

فساعدني على البوح

إنني وحيد

فساعدني على القصائد

ساعدني لأخرج من صمتي

اكتبي لي ..اكتبي لي كل شيء

اكتبي لي *

* شعر عدنان الصائغ

ربنا وتقبل دعاء !

“ربنا وتقبل دعاء”

الآية التي ينطقها لساني .. وترددها نواة كل خلية بجسدي .. وأنا أتمنى وأتمنى لو يتقبلني الله .. بكل ما في هذه الجملة من رجاء .. ربما أنا أتخيل أشياء وأصدقها لأن منار حين جاءت اليوم لتخبرني أنها تتذكرني كلما قرأت هذه الآية .. قلت لها .. أنا أصدق يامنار أن سيدنا ابراهيم حين نطق هذا الدعاء كان يقصدني .. وإن كان هذا غير صحيحا بالمرة لكن هل ثمة خطأ بأن أؤمن أن هذا صحيح؟ ... هل ثمة خطأ في أن أصدق أنني من ذرية سيدنا ابراهيم "عليه السلام" وأنه رجا الله "ومن ذريتي .. ربنا وتقبل دعاء" .. لا يمكنني أن أعرف .. ولكن يكفي أنني أحتاج أن أتدثر كلما سمعتها أو قرأتها .. لأقاوم الرجفة ..!

لم أخبرك يا صديقتي أن باب غرفتي العلوية الذي تحدثت عنه من قبل .. وقلت أنني أدون كل شيء عليه كمدونة خاصة لا يقرأها غيري .. كتبت الآية في أعلاه بأكبر خط استطعت أن أخطه .. وبما يكفي عرض الباب .. وإن كنت لم أتمكن من كتابتها بحجمها الصحيح كما هي في قلبي .. لأن قلبي بحجم قبضة العالم .. ووجدت أنني أحتاج لباب عرضه السماوات والأرض كي يكفي !

هذه اللحظة كم أحتاج لأن أسمع صوتا يردد :

“فتقبلها ربها بقبول حسن”

باتجاه السماء !

من فترة طويلة وأنا مشغولة بالفلك .. تقريبا منذ أن كنت بالصف الثاني الإعدادي حين أخذت ألح على أبي طوال الأجازة أن يشتري لي تليسكوبا صغيرا أراقب به السماء والقمر والنجوم والشهب المارقة .. رفض في البداية لكنه تحت إصراري الشديد وافق أخيرا واشترى لي واحدا صغيرا وضعته فوق سطح المنزل .. ومكنت ليالٍ طويلة أنظر فقط من خلاله إلى كل هذه النجوم التي كانت تحتل رأسي تماما وتضيء في كل خلايا جسدي .. لم أكن أراقب مساراتها أو أحاول التعرف على أسمائها ومجموعاتها .. كنت أنظر فقط ... نظر لمجرد الدهشة والاستمتاع بهذا العالم العالي جدا الذي لن أستطيع أن أقاربه مهما حاولت .. وكل ما يمكنني فعله تجاهه هو النظر والدهشة ... وكل الصغار والكبار أيضا الذين يلهثون كثيرا وراء كل الأشياء البعيدة عنهم ويزهدون فيها فور أن يحصلون عليها .. فعلت هذا مع تليسكوبي الصغير وتركته لشيء ما أختي التي تكبرني بعام واحد لتطبق عليه بصورة عملية درسها في مادة العلوم عن أنواع العدسات المقعرة والمحدبة والمستوية وسقوط الضوء عليها وانكساراته وانعكساته و تفتت التليسكوب لأجزاء صغيرة جدا كضحية لهذا الدرس .. نسيت بعده ولعي بالسماء والنجوم لفترة طويلة .. رغم أن هذه النجوم بعيدة جدا .. وأنا لم أحصل عليها بعد لأزهد فيها .. لكن هذا ما حدث ..

ورغم أن هذا الولع عاد مرة أخرى وبصورة أقوى وأكثر عمقا إلا أنني قررت التخلي عنه الآن بإرادتي حين اكتشفت أنني لازلت الطفلة الأنانية التي تحلم بكل ما هو بعيد عنها متجاهلة كل

قريب ..وجدتني أتجاهل كوني وأقفز فوقه إلى أكوان بعيدة أخرى بأمل أن أعثر على دعاء التي أريدها هناك .. أتجاهل واقعي وأحلم بأشياء كثيرة تحتاج عمر آخر للتحقق وأختار أن أعيش بخيالي في هذا العمر .. أحاول لمس قلبي من خلال لمس العالم بأكمله دون أن أعني أن يدي التي أضعها على صدري الآن يخفق من ورائها قلبي .. أعيش كنجم انفلت من مداره وانطلق تائها في سماوات الكون يبحث عن مجرة أفضل ومدار أكثر اتساعا وفخامة دون أن يدرك أنه سيفقد ذاته في هذه الرحلة ..وسيبتلعه أول ثقب أسود يصادفه ..

لهذا قررت أن أكون أولا ثم تكون الدنيا حولي .. أن ألامس قلبي أولا قبل أن أفكر في ملامسة العالم .. أن أعيش واقعي قبل أحلامي ..وعمرى قبل عمر ربما لن يأتي ..أن أحيأ في ركني القصي من العالم ..في كوني الأول .. في كوني الحقيقي بكل معني الكلمة قبل كل الأكوان التي لا تطولها يدي ولا يسعني أمامها سوى النظر.. أن أكتشف حجرتي قبل الصلاة قبل العلية قبل القبو قبل الشرفة قبل الحديقة قبل القرية قبل المدينة قبل العالم قبل الأرض قبل السماء والفلك ..! يتبع،،،

باتجاه السماء (٢) !

شبهت وفاء بـ نجمة وهي تسألني :”أين تذهب النجوم؟“ ..فأتجنب الحديث عن احترقاتها وانفجاراتها وتحولها لرماد نووي أو ثقب سوداء وكل ما يفضي إلى مصائر تعيسة للنجوم وأرد :”بما أن الشمس نجم والشمس تجري لمستقر لها ..فربما تكون بقية النجوم أيضا تجري لمستقر لها .. وحتى تجد هذا المستقر وتطمئن .. فهي سارحة في فضاء الكون !” أتبع ردي بـ :”يا الله .. حتى النجوم تبحث عن أمانها!“ ..وأخذت أفكر بعدها أنني أيضا نجمة صغيرة سقطت على الأرض وأبحث عن مستقري ومأمني .. في الحقيقة كلنا نجوم .. وكلنا نبحث عن هذا الأمان الذي لن نهذا حتى نستقر إليه ..

ولأن بيتي هو كوني الأول .. فيه مأمني الأول أيضا .. هذا الأمان الذي لا أشعر بوجوده في البيت إلا حين أغيب عنه فأفتقده .. تماما كما يقول غاستون باشلار :”بدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا..- إنه البيت - يحفظه عبر عواصف السماء وأهوال الأرض!“ .. “ولاء” تسألني أيضا عن أكثر مكان أحبه وأشتاق إليه .. أجيب :”حين أبتعد عن بيتي ينتابني هذا الشوق !”

أكتب الآن وصديق يرسل لي تعليقا عن اشتياقه لبيته الريفى .. وأنا أفكر هل أحب بيتي بهذه الصورة لأنه ريفى؟ ..أنا بالفعل لا أحب بنايات المدن ..أشعر أنها مجرد امتداد رأسي ..أذكر “ماكس بيكار” الآن وهو يقول عنها أنها “تشبه الأنابيب التي تشفط البشر في داخلها بواسطة تفريغ الهواء “! كيف بإمكان ساكن المدينة إذن أن يشعر بكونية حجرته وسط هذا الصخب من دوي السيارات والشاحنات؟.. أتخيل الفيلسوف الذي كان ينعي حظه العاثر لأنه من سكان المدينة وكان يسترجع هدوءه فقط من خلال استعارات البحر .. فالجميع يعلم أن المدينة الكبيرة بحر صاخب .. وهكذا كان يخلق صورة صادقة من هذه الصورة المبتذلة ..!

أعود لما كنت سأحدث عنه ... "غرفتي" .. أكثر مكان أحبه بالمنزل بأكمله .. والتعبير الصحيح: أكثر مكان أشعر فيه بالدفء في المنزل .. مختلفة عن أي غرفة أخرى .. أشعر بروحي تملأها .. بأشياء المبعثرة في زواياها .. بقطع من قلبي ملقاة على الأرض .. لا أشعر أنني وصلت إلى المنزل إلا حين أدخلها .. أحب نوافذها الكبيرة .. تكاد تظن أن الغرفة بأكملها عبارة عن نوافذ .. جدار واحد فقط خالٍ من أي فتحات .. بينما الثلاث المتبقين .. واحد به الباب .. وثاني به شبك واسع جدا يتوسط الجدار ويحتل أكثر من ثلثه .. والجدار الثالث يماثله .. أحب الشباك المقابل للمساحات الخضراء .. للأرض الواسعة .. للبراح .. حين أفق أمامه .. أشعر أن العالم انتهى عند هذه النقطة .. حيث حدودي هي حدود المكان .. أسفل حافة الشباك كتبت بقلم رصاص وخط منمنم اسمي وكررت بطول الجدار حتى وصلت إلى الأرض .. حين تنظر من بعيد يخيل إليك أن قافلة نمل دخلت من الشباك لتغزو الغرفة .. وتبحث عن السكر .. عني .. هكذا أحب أن أفكر .. بطلاء أحمر مائل إلى النبيتي رسمت قلوب كثيرة على الجدران .. لا يراها الكل جميلة جدا .. وربما تفتقد الجمال كله .. لكنني لا أرى هذا .. أنا أحبها وأرى جمالها يفوق الوصف .. لا أحد يفهم أنني حين رسمتها كنت أحدث قلبي وأخبره أنه ليس وحيدا .. حين أجلس على السرير في منتصف الغرفة أشعر أنني محاطة بالكثير من القلوب التي تحبني جدا لأنني أنا السبب في وجودها .. وأنا أحبها جدا لأنها وفيه إلى أقصى حد ولن تغادرني يوما .. أصدقائي المعلقين بدبابيس على جدار .. ماركو وإيزابيلا ونشأت .. عرفتكم عليهم مرة في الماضي وسأعيد التعريف مرة أخرى .. ماركو هو فتى يرتدي بنطلون قصير .. قميص بأكمام واسعة .. حذاء برقبة .. وقبعة كبيرة تميل على رأسه .. يمسك في يديه جيتارا ويعزف .. وأمامه إيزابيلا ترتدي فستان احدى الأميرات الأسبانيات .. وترقص .. فينبت العشب تحت قدميها ... كنت قد رسمتهما فوق ورقتين منفصلتين وعلقتهما على الجدار يقابلان بعضهما من سنتين تقريبا .. وما زال هو يعزف .. وما زالت هي ترقص .. دون أن يخذل أحدهما الآخر .. حتى أجل تأتي فيه الريح قوية من الشباك المقابل .. وتغنيهما معا أما نشأت .. فهو "هيكل عظمي" .. علقته ليكون الاثبات الوحيد في غرفتي بأني أنتمي لكلية الطب .. بالطبع لا يمتلك لحم وجلد وشفتين .. فيظهر صفي أسنانه دائما ويبدو أن الابتسام والضحك لا يفارقه .. وأنا أحبه لهذا الشيء ..

غرفتي .. أكثر غرفة في المنزل وربما في العالم كله تدخلها الشمس .. ربما بسبب نوافذها الواسعة التي أجد معها الضوء في كل مكان كأن جدرانها من زجاج وكل ما بها شفاف .. في حضرة كل هذا النور أشعر أحيانا أنني أضيء وأنني نجمة لن تحترق ولن تنفجر ولن تتحول إلى رماد نووي أو ثقب أسود .. نجمة سعيدة وصلت أخيرا لمستقرها ومستودعها !

يتبع ،،

باتجاه السماء (٣)

عندما تلتقي قمم سماننا

أفكر طويلا في بيت الشعر هذا وأحاول أن أجد معنى له يناسبني أكثر مما يناسب القصيدة .. هكذا أنا دائما .. أبحث عن علاقتي بمعاني الأشياء وإن كان حتى ليس لي بها علاقة .. أخلق ما يربطني بها وأجعلها تدور في فلكي .. لا أتخيل أن في هذا الكون شيء ليس له صلة بي .. ليس لأنني مجنونة أو مصابة بالـ "شيزوفرينيا" كما كنت أذكر في فرع "الأمراض النفسية" بمادة الباطنة .. حين يصاب مريض الشيزوفرينيا بداء "العظمة" ويظن أن الكون يتآمر ضده وأنه أفضل من كل الخلق .. وإنما لأنني أثق أن الله حين خلقنا من ماء وتراب فإنه جمع ذرات هذا التراب من كل مكان في الوجود .. ليكون كائن لا يحصى .. كائن عصي عن الفهم والشرح والاستيعاب والاحتواء .. كائن بإمكان قلبه الصغير أن يحتمل كل شيء ويصل لأي شيء .. كائن جدير بأن يكون وريثا لله على أرضه .. أفكر في بيت الشعر مرة أخرى وأتساءل هل كتب ايلوار قبل أن يموت وقال أن القمم تلاقت أخيرا وأن بيته صار له سقف؟ .. ربما كان يعني بالقمم "الأفكار" .. وفي أمّتي لكل فرد سماؤه الخاصة .. ألهذا ليس من نصيب بلدي أن يغدو له سقفا مرة؟ .. ربما .. لن أفكر في بيت الشعر بهذه الصورة .. وسأتخيله أبسط مما يمكن أن يكون .. سأجاهل المعاني و أنظر للمفردات ... للبيت .. وللسماء .. للكلمة التي بدأت عندها .. والأخرى التي أمضي باتجاهها !..

قلت في ردي على تعليق للنص السابق : "للبيوت روح وجسد .. وللأماكن ملامح إنسانية تشبهنا .. وأن أبأس مكان سيبدو جميلا إن حاولنا اكتشاف مكانه !" .. وأفكر الآن كيف بإمكان بيتي أن يشبهني كما يشبه العش شكل الطائر؟ .. أو كما يشرح "جول ميشيليه" عن "هندسة الطيور" العصفور بالنسبة لميشيليه عامل بناء دون أدوات .. ليس له "يد السنجاب ولا أسنان القندس" ... يكتب: "الواقع أن جسد الطائر هو أدواته .. أعني بذلك صدره الذي يضغط به فيقوى مواده حتى تصبح مرنة .. متسقة ومتكيفة للخطة العامة" .. ويشير ميشيليه أن شكل العش يشبه قوقعة صُنعت بالجسد ومن أجل الجسد .. ومن خلال الدوران المستمر والضغط على الجدران من كل جانب ينجح الطائر في تكوين دائرة .. يضيف: "البيت هو شخص العصفور بذاته .. إنه شكله وجهه المباشر .. وأستطيع القول أنه معاناته .. النتيجة تتحقق من الضغط المتكرر المتواصل .. لا توجد ورقة عشب واحدة لم يتم ضغطها مرات لا حصر لها بصدر الطائر وقلبه .. وربما أيضا بواسطة تنفسه الذي أصبح ثقيل .. وربما بنبضات قلبه وذلك لجعل ورقة العشب تنحني وتثبت على انحنائها" .. يا لله ! الصورة رائعة الوصف .. ليس بإمكانني أن أنساها ماحييت .. ليس بإمكانني أن أنسى هذا العش الذي ينبع من حلم الحماية .. الحماية المتكيفة لأجسادنا .. الحماية عبر أحلام البيت/ الثوب .. ماذا لو أقمنا بيوتنا على هذا الشكل الذي يحلم به ميشيليه .. وأن يكون لكل منا بيته الشخصي .. عشا لجسده .. مفصلا حسب مقاسه .. كما في رواية "كولاس بروغنون" لـ "رومان رولان" حين يرفض البطل بعد تجارب كثيرة بيتا أوسع وأنسب .. يرفضه باعتباره ثوبا لا يناسبه .. يقول: "إما أن يتهدل عليّ أو يضيق حتى تتمزق أجزاءه المخيطة" !..

نحن نعيش غريزة العصفور على نحو ساذج .. العش هو حزمة غنائية من أوراق الشجر .. حزمة منخرطة في سلام الدنيا .. نقطة في محيط السعادة الذي يحيط بالأشجار الكبيرة !

وهكذا نحن أيضا ! .. حين نختار لأنفسنا بيتا..فإننا نختاره في المنبع الذي نشعر فيه بثقتنا بالعالم ..هل كان ممكنا للعصفور أن يبني عشه لو لم يملك غريزة الثقة بالعالم ؟ ..إن بيتنا يصبح عشا في محيط سعادتنا .. نعيش به في سلام تام مع كل أحلام الأمان .. العش مثل بيت الحلم .. وبيت الحلم كالعش .. ونحن طيور صغيرة حين يشعر قلبها بالسعادة يصبح بإمكانها أن تحلق عاليا .. عاليا .. باتجاه السماء !

ليت النهر ترعة سعيدة !

عدت من الجامعة إلى قريتي الصغيرة بعد الامتحان من طريق مختلف تماما أسير عليه للمرة الأولى .. أطول كثيرا لكنه مسلي جدا .. كنت ممثلة بالضحك والدهشة والتأمل .. الطريق يمضي بمحاذاة ترعة طويلة جدا ورغم أنني فتاة ريفية من قمة شعري حتى كعب حذائي إلا أن كل ما وقع عليه بصري اليوم كان جديدا جدا على عيني لأن بلدتي تفتقده كثيرا .. ربما لأنها ليس بها ترعة وأنا لا أفهم كيف لقرية أن تكون بلا ترعة؟ ..كأنها إبرة بلا خيط ..أو مصباح بلا ضوء ..أو شجرة بلا ورق .. كأنها شيء ما عصي عن الاكتمال .. في الحقيقة كان هناك ترعة صغيرة تسير بطول القرية وتم ردمها من سنوات بعيدة بطريقة وقائية ضد الناموس والحشرات .. كنت حينها صغيرة جدا وكنت أذاكر درس أعمال محمد علي باشا الكبير التي مازلنا نفخر بها حتى الآن في مادة الدراسات الاجتماعية .. كان من أهمها شق الترعة والقنوات ..وكنت أرددتها كثيرا لأحفظها وسط صخب آلات الردم تقارب منزلي ..أرددتها وأنا أتساءل كيف يكون شق الترعة إنجازا .. ورمدها إنجازا أيضا؟ ... لم أفهم هذا أبدا .. لكنني تجاوزته وكفى !..

من الشباك أراقب فتیان يسبحون في الترعة كقراميط صغيرة .. يرشقون بعضهم بالمياه ويكركرون .. أضحك عليهم وأنا أصنع من ورقة الامتحان مروحة صغيرة أهوي بها على وجهي ... أحسد انتعاشهم وأتمنى لو كنت فتى صديقهم يلهو معهم ويسبح غير عابئا على الإطلاق بأي عدوى فيروسية أو بلهاريسيا تخرق جلده وتراوده عن صحته !..

على حافة الترعة ينتشر نبات البوص وأشجار الموز .. ونساء وفتيات يغسلن الصحون والملابس .. أشفق عليهن وأراهم طيبين جدا حد أنهم قادرين على غسل الترعة بطيبتهن وقلوبهن البيضاء .. لا أعرفهم لكنني أتيقن من أنهم بمنأى تام عن كل الصراعات والأحقاد والضغائن والتلوث الذي يطول كل العالم ويبعد كليومترات قليلة فقط عن ترعتهم وأرواحهم !..

بطول الترعة وعلى مسافات متباعدة يجلس رجال عجائز بيد كل واحد منهم سنارة طويلة يطوحها في الهواء قبل أن يلقيها في الماء وينتظر ... أندھش منهم لأنني دائما ما فكرت أن الصيد يليق بالصغار فقط .. في صغري كنت أنطلق دائما مع محمود ابن خالي لنصنع السنارات ونذهب للصيد.. ورغم أن أمي كانت توبخني دائما على هذا إلا أنني كنت وقعت في غرام الصيد في تلك الفترة من حياتي .. أتذكر الآن لحظات سعادتي حين كنت أهرب من أمي وأرافق عمرو و وليد للأراضي الطينية .. نستخرج الدود من التربة .. نقطع الدودة الطويلة نصفين .. ونضعها في حلقة السنارة كطعم للسماك ... كأبو قردان سعيد يجوب الحقول .. كانت

فرحتنا بالعثور على الدود لا توصف ... أتذكر آخر مرة رافقتهم في رحلات صيدنا الصغيرة هذه .. وكانت "آخر مرة" لأنني تشاجرت يومها مع وليد وتوعدني بالضرب إن رافقتهم في رحلة أخرى .. بعدها قررت الذهاب وحدي والقيام بكل شيء وحدي .. حملت سنارتي على كتفي كصياد همام وطبق بلاستيك صغير في يدي لأضع فيه السمك .. وجلست تحت شجرة طوال النهار أدعو بخشوع شديد من أجل غمزة .. وحين عدت البيت آخر اليوم بقرموط صغير وبضعة سمكات وطلبت من أمي أن تقلبهم لي في الزيت .. ضربتني .. وتوعدتني هي الأخرى بالضرب مرة ثانية إن كررت فعلتي .. كانت تخشى عليّ من الانزلاق في الماء والغرق .. لم تعرف أبدا أنها في هذه اللحظة تحديدا حولتني من "صيادة" لـ سمكة .. ومن أبو قردان لـ طعم .. ومن فتاة تمتلك رنتين .. لأخرى تتنفس بخياشيم ... أتذكر الآن حين قلت أول أمس أنني "في قدم الدنيا .. كرة" ... وأشعر أن الجملة الصحيحة هي أنني "في بحر الدنيا .. سمكة ساذجة وحيدة .. تبتلع الطعم دائما!"

أعود للترعة السعيدة التي مررت بطولها اليوم .. ماذا كان بها أيضا؟ .. آه .. على الضفتين أعمدة إنارة .. وأسلاك الكهرباء تمر من فوق الترعة لتصل بين الأعمدة .. على الأسلاك تحط أسراب العصافير .. يتوزعون على الثلاثة أسلاك كحروف موسيقية .. شعرت لحظتها أنني أمام نوتة موسيقية هائلة .. وليس ثمة موسيقار يعزفها .. تمنيت لو امتلكت عصا اوركسترا وجناحين لأحلق في الهواء بمحاذاة الأسلاك وأطلق الموسيقى من أعشاشها .. تأوهت في قلبي وأنا أردد "الجمال من هنا يفيض .. ويغرقني وحدي!"

عدت وأنا أنتنفس من خياشيمي .. وأنوي الكتابة عن كل هذا فور أن أصل إلى المنزل .. عن طاولة البلياردو المنصوبة على حافة الترعة أسفل سقف عشة وتدعو للضحك .. عن الحمار الذي يهز ذيله بسعادة وهو يتناول البرسيم .. عن الصبيين اللذين يقودان جرار زراعي ويمصان القصب .. عن القارب الصغير الذي يجلس به رجل وامرأة يلقيان بالشباك في منتصف الترعة دون أن يخطر ببالهما أن وضعها هذا رومانسي جدا وأن ثمة فتاة فقيرة .. ريفية أيضا _ تمر على الطريق مسرعة تحلم بقارب يشبه قاربهما و لحن يدور في قلبها ونهر صغير توافق على استبداله بترعة سعيدة !

أنا أعيش في جلاباب أبي !

كنت الابنة المدللة لأبي حتي سن العاشرة .. وهذا لا يعني أنه ما عاد يدللني .. لكن أمور كثيرة تغيرت من هذا الحين .. وسأصحح وأضيف .. أمور كثيرة في رأسي تغيرت منذ هذا الحين .. طوال سنواتي الأولى كنت أرفض النوم إلا في حضنه .. وكانت حيل أمي كثيرة حين يصادف ميعاد نومي مع عدم وجود أبي .. كالحكايات والغناء .. ولف خصلات شعري حول اصبعها بنعومة وهدوء يجعلاني أنام في الحال ... واعترف أنني أدمنت هذه الأشياء فيما بعد .. وصارت تشبه حبوب النوم .. ومن الأسرار الصغيرة في حياتي أنني حتى اليوم إذا مس أحد شعري أو

حاول أحد من اخواتي اللعب في خصلاته فأنا أشعر بالنعاس فوراً و أنام بطريقة تشبه السحر .. ولكن أبي لم يكن بحاجة لكل هذه الحيل .. حضنه كان كافي لأن يشعروني بالأمان في لحظة فأنام .. وهذا يدفعني لأتساءل : "هل النوم شعور بالأمان ؟ .. وهل الأمان يعني أبي؟" .. يبدو هذا صحيحاً .. وصحيحاً جداً .. لأنني منذ أن غادرت هذا الحزن إلى حزن أوسع بحجم الحياة لم أشعر بالنعاس !

لم أر في حياتي أباً أحسن من أبي .. هذا الحنان الذي كان يغرقنا به صغاراً .. كأن يقبل رؤوسنا جميعاً فور دخوله المنزل .. وحين كبرنا قليلاً .. صرت أرى حنانه في دمعة فرح يوارىها بكل الطرق حين يحدث شيئاً سعيداً لأحدنا .. أكثر ما أفتقده هذه اللحظة عندما كنت صغيرة وكنت أجري إلى سلم البيت فور سماع خطواته آتية من البعيد عقب كل صلاة .. ليتلقفني ككرة صغيرة مسرعة موجهة إليه مباشرة ثم يرفعني مرات كثيرة لأعلى .. كانت هذه أسعد لحظات حياتي .. وكنت أسمع كل خلية في جسدي الصغير وهي تضحك بفرح .. ولا أدري ما الذي دفعني في سنوات تالية لهذه الفترة أن أرسم طريقاً معاكساً لكل الطرق التي يمضي بها أبي .. عن عصيان .. أم عن تمرد .. أم عن ماذا تحديداً كنت أفعل هذا .. رغم أن أبي هو الشخص الوحيد الذي رفض ومازال يرفض افلات يدي من يده .. لكنني كنت أن أجرب الحياة وحدي .. وأن أفهم .. لازلت أذكر رد معلمي في المدرسة حين أبدى أبي قلقه عليّ فقال: "لا تقلق على دعاء .. فهي تستطيع السفر وحدها إلى النصف الآخر من الكرة الأرضية والعودة كأنها لم تفعل شيئاً مهما .. و دون أن تصاب بخدش !" و رغم هذا قلق أبي ..!

كنت أبتعد وأقول : "أنا بعيدة" .. لكنني اكتشفت أن هذه التي تفكر طوال الوقت كيف تتمرّد على كل شيء .. وكيف تصنع شخصيتها البعيدة عن كل من تعرفه .. وكل ما يحاول أحدهم تعليمه لها .. أكتشف أنني أقترّب من خطوات أبي .. في كل خطوة أخطوها وحدي .. أكتشف أن كل الطرق بين عالمي وعالمه دائرية .. وأنني لا أفعل شيئاً سوى أن أكونه !

مؤخراً تنبّهت لشيء خطير لم ألاحظه من قبل .. أنني الوحيدة في البيت التي لها نفس حركات أبي .. نفس طريقته في الجلوس .. في شرب الشاي .. في الاصغاء لأحد يتحدث .. في الصمت .. في وضعية النوم .. في التفكير .. في العصيان .. في قول "لا" .. في كل شيء .. كل شيء .. فهل معني هذا أن من نتحاكى تقليده في أي شيء .. نكون في النهاية نسخة منه في كل شيء ؟

هذه الأيام أنا أمضي معه في مشاوير كثيرة .. وصارت يدي المشبوكة في ذراعه هي حلقة الأمان التي تضمنني .. وصرت لا أريد أن أغادرها ..!

في مسرحية حياتي .. أنا بطلة بالصدفة !

سحر صديقتي تدعوني للانضمام لفريق المسرح .. لا أعرف لماذا جاءتني أنا بالذات لنقدم لي هذه الدعوة .. لم أسألها .. لكنني شعرت بلمعة في عيني أضاءت الصورة أمامي للحظة .. بحاجبين مرفوعين ليتيحاً لبقية ملامحي مساحة أكبر للتهليل .. "واللله .. فريق المسرح!!" تعلقت بالفكرة كطفل يتشبث بكل المشاوير وينطق لكل شيء : "أنا عاوز من ده !" .. بنفس حماسي الكبير من عدة أيام حين علقتني صديق في مشوار لمباراة مصر والجزائر .. وتركني معلقة حانقة .. لأن أُمي رفضت .. دون أن تعطيني مساحة ضيقة حتى للنقاش .. فجلست بجوارها أزر وأتمتم: "يووووه بقا .. كل حاجه لأ .. لأ!" .. وهي تتصفح كتاب في يدها وتظاهر بعدم سماعي .. أعلي من نبرة صوتي .. ولا فائدة .. تبدو منهمكة بالقراءة جدا .. أعود لغرفتي بدببة في الأرض وحنق متزايد .. غاضبة من صديقي الذي علقتني بفكرة على ارتفاع سطح منزلنا ومضى .. يدي متشبثة بالسور .. جسدي متدلي للأسفل وأصابعي تنزحلق .. نفس الوضع الذي تركني عليه ابن عمي أمس حين اقترح مشوار مجنون جدا إلى مولد السيد البدوي _ الذي يوافق اليوم _ "الليلة الكبيرة" كما يقول .. يخبرني عن " الشوارد " .. فتعلو علامة الاستفهام رأسي كما في أفلام الكرتون .. يشرح : شوارد جمع شاردة وهي خيمة كبيرة للذكر .. شعرت لثانية أنني أتحدث مع المعجم المحيط! .. أسأله : هل يتطوحن هناك وهم يهتفون : "الله حي .. سعه جي" .. ينفي وينقطع الخط دون تفاصيل أكثر .. وبالطبع لا أحاول الذهاب لأُمي والاستئذان منها لأنها هذه المرة لن تنهك في القراءة وتدعى عدم سماعي كما فعلت من عدة أيام .. وإنما (.....) .. تجنبت الشر وجلست وحدي أتخيل "القراطيس" الملونة .. والرجل الذي يدور وهو يشبه الطاحونة دون أن يسقط أو ينتابه الدوار .. و"مراجيح الموالد" التي لم أرها في حياتي سوى على شاشات التلفزيون .. هذا إلى جانب المجانين اللذين سأ تأملهم بدهشة ونظرة ساخرة وهم يتمسحون بضريح سيدي "مش عارف ايه" وتتوسل احداهن : "سابق عليك النبي الواد يقبل في المدرسة السنة دي !" .. لو ذهبت اليوم سيكون أجراً ما أقدمت على فعله هذا العام .. لكن ما الجدوى من ذهابي .. وأنا أعرف أنني سأعود بلا "حمص" _ لأنني لا أحبه أصلاً .. ولا يوجد مولد بلا حمص .. زفرة أخرى دون تمتمة ودببة هذا المرة .. وأعود لجسدي المعلق في الهواء للمرة الثالثة في أسبوع واحد بسبب فكرة المسرح هذه .. سحر تتمنى قنومي .. و تشجعي للذهاب .. وأنا بعد كل التعابير الحماسية التي ظهرت على وجهي أخبرها أنني سأفكر في الأمر .. وغالباً سأتي غدا! .. تقول أنني سأقوم بتأدية دور صغير من رأسي أمام المخرج أولاً كي يقرر إن كنت أصلح أو لا .. فكرت لحظتها أنني سأمثل مشهد من فيلم " gone with the wind" حين عادت سكارليت أوهارا إلى "تارا" بعد أن حرقها الشماليون .. تكاد تموت من الجوع تنحني على الأرض تفتش في الحقل عن شيء تأكله حتى تجد جزرة يابسة _ وهي أميرة القصور _ فنقوم وتقف في مكانها وهي تمسك الجزرة وتقول بمرارة وقوة : " أقسم أنني لن أجوع ثانية .. حتى لو اضطررت أن أكذب أو أخدع أو أسرق أو حتى أقتل .. لكن أقسم أنني لن أجوع ثانية" هذه الجملة التي لخصت شخصية سكارليت أوهارا في الفيلم بأكمله .. أعشقها !

وحدة !

وجدتني وحدي .. لا أحد يتوسط لي أمام مدير المدرسة .. فتاة مطلوب ولي أمرها .. تقف في منتصف طابور الصباح .. عبرة لمن يعتبر.. مع خطبة مطولة لمدير المدرسة _الثرثار بطبعه_ عن العقاب الذي سيحل بي .. وكيفية تشريدي .. في هذه اللحظة .. ألحت على رأسي كل البطولات التي توهمها أصحابها .. لم أدمع .. ولم أنطق بحرف طوال وقفتي هذه .. حتى وهو يسألني بغضب عن أصدقائي المشاركين معي .. لم أنطق ..كنت أراهم واقفين في الطابور .. في فصولهم .. في أمكنتهم .. و وحدي واقفة دون أصدقاء .. دون فصل .. في مكان عرفت بعدها

أنه كان مكاني.. ليس لأنني أنتمي لعالم التمرد والمشغبة والارهاب .. ولكن لأنني لا أنتمي لعالم الفنران ... أما عن المعلمة التي كانت سببا رئيسيا في وقفتي هذه .. كنت تقف بجوار المدير .. بجواره تماما ...تستمع لخطبته وتهز رأسها موافقة ... وليس بإمكان أحد أن يتخيل شعور فتاة في عمر طري جدا كغصن حبة الفول النابتة داخل قطعة القطن التي وضعتها بمعمل العلوم قبل أن تخرج مباشرة للمظاهرة .. لا أحد يتخيل شعور فتاة تشعر بخذلانها الأول من كل من ظننتهم ظهرها .. الذي انقصم في هذه اللحظة .. من أصدقائها .. من معلمتها المفضلة .. من مديرها الذي كان يقدرها لكونها طالبة متفوقة .. هذه اللحظة _دون أن أعي_ كانت فاصلة في حياتي ..تأكدت أنني إذا سقطت ..فلن يتلقفني أحد ..ولن يكون هناك من يمسك ذراعي ويساعدني على النهوض ..أدركت تماما ان الانسان يكون وحيدا حينما يحس أنه بحاجة للآخرين ..وأنه يجد نفسه محاطا بالآخرين حينما لا يحس أنه بحاجة إليهم .. ومن يومها .. وأنا أقع وأنهض وحدي ..أنفض الغبار عن ملابسي بسرعة ..وأواصل السير !

مسافرة إلى أغنية في صدري !

لن أقول أنني فتاة بقلب جريح مكسور فائض بالخيبة .. لأنني لا أجيد تمثيل هذا الدور .. وكما أخبر صديقي دائما : " أنا فتاة صامدة .. صامدة حتى النهاية .. وإن كنت أتألم أو أفتعل الألم أحيانا .. فأنا أستطيع تجاوز أي شيء .. مهما كان " .. كل الطعنات التي أصابت قلبي مباشرة تدوات والتأمت تماما من فترة لن أسميها قصيرة وإن كانت كذلك .. لأنني لا أملك إلا عمري .. ويوم واحد هو شيء كبير جدا أندم على تفويته .. ولكن كل الجروح والاصابات تحتاج بعد مداواتها لعلاج طبيعي ..لطبيب يعيد الحياة في الجزء الذي أنهكه الجرح وأضعفه سوء الاستخدام .. وهذا ما يحتاجه قلبي تماما .. سلامته من أي خدش في هذه اللحظة لا يعني أنه سيقوم بوظيفته بأحسن ما يمكنه أن يفعل .. في الحقيقة كنت أعتقد هذا .. كنت أعتقد أنه برأ تماما حين ألقيت بقميص الحب على وجهه فارتد نابضا .. حين اعتقدت أنني بإمكانني أن أتبع العلامات على الدرب وأخطو بثقة مرة أخرى وأنا أردد قصيدة لمحمود درويش تشبه : " هنالك حب صغير يسير على قدميه الحريرتين ..حب فقير بيلله مطر عابر ..فيفيض على العابرين*" .. كأنني أمتلك قلب صبية في الرابعة عشر من عمرها .. في الصف الثاني الثانوي على التحديد .. حين يكون العالم كله لا يزن مثقال ذرة من خردل في قلبها .. و تمضي وهي تفكر في لون الدماء في شرايينها الزرقاء .. وتقبض يدها وتبسطها وتتخيل .. هكذا يدق قلبها ..! وتعيد حركة يدها ذاتها بشكل أسرع وأسرع حين تخجل .. وحين تضطرب .. حين تحب .. وحين تعشق.. حين تخاف .. وحين تفرح .. وحين تلهث وراء أشياء كثيرة لن تطالها في النهاية .. لكنها تتيقن من أن قلبها يدق أسرع وأسرع بتناغم لا مثيل له مع انقباض يدها وانبساطها ...! كانت فتاة ساذجة جدا .. تفكر في قلبها ورئتيها كثيرا .. وتدعي أحيانا أنها تحب من كل رئتيها .. وحين يصح لها أحدهم : " أنت تحبين من كل قلبك !" تنفي بشدة .. وتجزم أن الهواء العالق على رئتيها تخلل يوما رئة من تحب حين وقفت في مواجهته ذات صدفة وقت لم تقدر الدماء أن تفعل

شيئاً يربطهما معا كما الهواء .. تدعي أنها ستحتمل توقف قلبها عن الدق .. لكنها لن تحتل أبداً
توقف رئتيها عن التنفس .. لأنها حين كانت طفلة تسبح مع صبي في الحادية عشر ويلهوان معا
بفريقي الغواصين البلاستيكي الذي يحمل السيوف .. ويتبارى في الوصول إلى الكنز المفقود في
أعماق البحار .. فكرت بطمع أن تستولى على فريقه وتصل إلى الكنز وحدها لكنه غضب و
أمسك برأسها وغمره تحت الماء وهو يضحك على غرقها الوشيك .. لم تستطع التنفس
.. شعرت بالماء في رئتيها وكادت تموت لأن كل الهواء على الأرض عجز عن الوصول إليها
بينما كان قلبها يستمر في الدق دون مبالاة .. ربما أسرع قليلاً؟ ... ربما شعرت به يدق ..
ولم يمكنها هذه المرة أن تقبض يدها وتبسطها مع نغمته .. كل ما تحتاجه كانت أن تتنفس فقط
!.. بعدها لم تستطع أن تقول أنها تحب من كل قلبها .. لأن رئتيها صارتا الأهم .. وصارت
عبارة غزل تشبه : " قلبي يدق بك " .. لا تساوي شيئاً بجوار : " أنا أتنفسك " ..

أوووووووه .. تعبت وسأعترف ! .. لا أملك الصمود الذي أتحدث عنه في كل دقيقة .. أنا
أتهشم كآنية .. قابلة للكسر كغصن طري .. وتتقاذفني الرياح كالورق الجاف .. وأريد شخص
يعاملني بالمس ... كأنني ثلج مبشور في راحتيه .. عبثاً يحاول دسه عن الشمس كي لا يذوب !

اسم المكان "حنين" !

كانت يد رهيبية تقبض على قلبي وتعصره حتى سال الدم كله .. لا أتألم .. لكنني أشعر أن قلبي
مجعد كقميص خرج من الغسالة للتو ويفكر في المشابك التي ستقرصه بعد قليل وفي صفعات
الهواء الباردة جدا بعد حمام ساخن .. يتهياً لنزلة برد لن تغادره سريعاً ... ويعطس ..!.. اليد تزيد
من قبضتها وقلبي ينعصر أكثر .. ويسقط الماء من عيني .. لم أكن مضطرة لأن أضحك .. لكنني
ضحكت بصوت عالٍ رغم البلل في عيني وصديقي يحكي عن شجاره اليومي ويقلدني وأنا
"بايخة جداً" .. يسألني عن سبب ضيقي .. ويقول أن هناك نوعين من الضيق .. نوع إيجابي حين
يأتي شخص ما أو شيء ما ويضايقك .. ونوع سلبي حين لا شخص يأتي ولا شيء ليسعدك أو
حتى يضايقك .. أخبره أن ضيقي ينتمي للنوع الثاني .. كإجابة سريعة لم أفكر في صدقها .. لكنني
أعرف أنها حتى لو كانت كاذبة .. فأنا لم اتعمد الكذب .. وهذا يريحني .. أسأل أحمد عن أكثر
مكان يحبه في مصر .. يقول الأسكندرية .. وإجابة مضحكة أخرى .. ويلحقها بـ "هع" .. وأخبره
أنني أحب الحسين .. وأرغب بزيارته حالاً .. تتحول لهجته إلى لهجه جدية .. لا أراها .. لكنني
أتخيل أن ضحكته تلاشت ببطء .. وأضاءت النجوم في عينيه وهو يسألني " زرتي الكعبة قبل
كده يا دعاء؟ " .. أنفي .. فيقول أن الراحة الأكبر في النظر إليها .. يضع في سلة أمنيائي أمنية
جديدة ستبارك حياتي الآتية .. ويتحدث عن رغبته الشديدة في زيارتها .. لولا الوباء المنتشر .. كان
يتكلم بحب وشوق كبير إليها .. كنت متأكدة انه يرى الكعبة أمامه في هذه اللحظة .. وكنت أشعر
بالخجل من تخيلها .. ونطقت في نهاية كلامه " آه " .. كتصديق عليه .. أو ك نقطة .. لأنني حين
أخبرته أنني أحب الحسين لم أكن أقصد "مسجد الحسين" كما فهم هو .. وإنما كنت اعني مقاهي

الحسين .. ومحلات الفضة والخزف والتماثيل الصغيرة .. ورائحة البخور التي تمتصها خلاياي فأشعر أنني جمرة منفعة أشعلتها عجوز طيبة برداء أبيض فضفاض ورشت البخور عليها في صباح الجمعة .. أفكر في "قهوة الفيشاوي" .. وأتذكر زيارتي الأخيرة إليها .. وجلوسي أنا والأصدقاء إلى طاولة نثرثر ونضحك .. ونستمع برائحة الهيل التي تقوح من فناجيل القهوة .. في الزاوية رجل يعزف على عوده بحنين شديد .. لحنه يمزقني ويبعثني ثم يعيد جمعي على مهل .. راقبته حتى انتهى .. وتفاجأت به وهو يرفع رأسه المائلة إليّ ويبتسم للدمعة في عيني .. حينها اكتشفت أنني بإمكانني أن أعشق رجل يبتسم لدمعتي .. واستغربت جدا لحكاية صديقتي التي كرهت حبيبها .. لأنه ابتسم وهي تسكب دموعها في كفه .. وعرفت فيما بعد أن الفتيات يفضلن رجل يلتزم الحزن حين يبكين أمامه .. وأنا أريد رجل يشرب حزني ويضحك !!

اليد تخفف من قبضتها الآن وقلبي الضيق ك نقطة .. يتسع ويكبر ك بالونة عيد ينفخها طفل ويلهو !

أذوب في حبك ك شمعة !

٢٨ - ١٠ - ٢٠١٠

كل الأشياء الجميلة تنتهي سريعا .. هكذا كان اليوم .. هكذا كان أمس .. وأول أمس .. هكذا كان العام بأكمله ..

٢٨ - ١٠ - ٢٠٠٩ .. هو أول يوم قال لي أحمد "بحبك" .. ومنذها وهو يهمسها لي كل صباح ومساء .. حين أوقظه في السابعة والرابع صباحا لعمله .. وفي الثانية ليلا قبل أن ينام .. وفيما بينهما عام كامل لم يحرمني منها إلا في أيام قليلة لا يتجاوز عددها ستة أيام على أقصى تقدير .. كنا قد تشاجرنا فيهم شجارات تافهة للغاية .. بعناد .. وطفولة .. و رأس يابس .. ولم نتصالح إلا لأننا كدنا نختنق بصمتنا وعنادنا وبزفير كتمناه بالقوة كي لا ننطق "بحبك" .. نعود بعدها لنتنفس بأقصى مانستطيع .. نستنشق وجود كلانا في الآخر بعمق .. ثم نزفر "بحبك" عاليا عاليا عاليا !

"قضينا اليوم بأكمله معا" .. ودون أن أحكي مزيدا من التفاصيل .. ماقلته فقط كافيا لأن تكون فرحتي كاملة .. وخفقان قلبي حتى منتهاه .. واليوم أجمل ما يمكن أن يكون .. كأن أحمد يأتي إليّ وفي يده علبة ألوان يميل بها من السماء على الأرض ويرسم قوس قزح .. يمسك يدي ويأخذني معه .. نمضي والورد ينبت حولنا في كل مكان .. يسبقني لأعلى التل .. وهناك نركب دراجات هوائية نتدحرج بها من فوق .. نصطدم معا ونسقط في ضحك ومرح .. نرقد على العشب بأنفاس متسارعة وفرح لا يوصف .. ننظر إلى السماء .. يتخيل هو أشكالا مختلفة للسحاب .. وأنا أخبره أن كل السحاب غزل بنات وأنا أود أن ألعقه .. يبتسم وهو يدير رأسه إلي

..ينظر في عيني ويقول :”بحبك” .. أشعر لحظتها أن الحياة بأكملها قطعة من غزل بنات ملون
وضعتها أحمد في يدي دون أن يدري .. هكذا هي أيامي معه !..كأنه شمس وأنا زهرة عباد
مجنونة تتوارى بذبول وقت يغيب ..وهو يعرف كل هذا.. لذا يهددني في كل مرة أحاول أن أقدم
على خطأ ما بأنه سيلغي موعدنا القادم ومع هذا لم أهن عليه ولو لمرة واحدة أن يفعلها .. ربما
لأنه الشمس الوحيدة التي تأبه جدا لحال زهرة عباد !

أعجبتني فكرته بأن نشترى لهذه المناسبة شمعدان نضعه في بيتنا فيما بعد ونشعله حين نحتفل
بهذا اليوم في كل سنواتنا القادمة .. ذهبنا اشتريناه معا ..مع شموع برائحة الفراولة أيضا ..
خرجنا من المحل وأنا أتخيلني أشعل الشمع.. اطفئ النور ..أنثر ورودا على الطاولة بين
أطباق العشاء .. أدير موسيقى نحبها ..وأجلس على كرسي الطاولة أنتظره حتى يأتي .. يفتح
الباب بهدوء .. يتفاجئ ويتسمر عنده..وأنا أعرف أنه يصطنع التفاجئ كي يسعدني .. بالطبع
هو يتوقع أنني سأعد ما حلمنا به سابقا في هذا اليوم .. يضع مفاتيحه على رف المرأة قرب
الباب .. ويخطو إليّ .. يمسك يدي ويجذبني برفق لأقف في مقابلته .. ينظر في عيني ويهمس
:”بحبك” .. يعانقني طويلا ويخبرني أن أيامه بي أحلى ..أكف عن التخيل وأشعر أنني أحبه أحبه
أحبه إلى ما لانهاية .. يسألني كما سألني العام الفائت في نفس اليوم :”نفسك تكلمي عمرك كله
معايًا؟” عندها قلت بخفوت :”آه” .. أما اليوم فنطقت بلوعة :”مش كفاية !” .. نطقها وأنا أعلم
أن كل الأشياء الجميلة تنتهي سريعا .. نطقها وأنا أعلم أي أدوب في حبه ك شمعة !

! My love for live is overflowed

شاهدت ليلة أمس فيلم “remember me” ... الفيلم رائع جدا رغم نهايته الحزينة الغارقة في
الدمع .. شعرت وأنا أشاهده أنني فتاة حقيقية .. وأن كل الأشياء الصغيرة التي أشعر بها
وتحاصرني في كل مكان لها وجود فعلا .. و وجود قوي للغاية !

شعرت أنني أريد أن أعيش لحظاتي بكل ما في من حياة .. عرفت أن كل المرات التي تخيلت
فيها أن الموت يراوغني كنت أنا من أراوغه ..حين أركب سيارة مسرعة متهورة قد تنقلب في
أي لحظة .. حين أفتح المياه الساخنة وأنظر للغاز وأشعر أنه على وشك الانفجار .. حين تهب
ريح عاتية ك موت لتعصف بالأشجار أمام البيت وحوله وتضرب الشبابيك والأبواب .. حين
أفكر بكل هذه الأشياء وما يشابهها ويمثلها أكون أنا من يراوغ الموت .. أعرف أنه سيفاجئني
حين أنسى كل هذا .. حين أشعر أن كل شيء في مكانه الصحيح تماما ..وحين أريد أن تستمر
كل لحظة إلى الأبد .. حين أفكر في سهل أخضر منبسط لا تقربه الزلازل و سرب حمام أبيض
يخلق أعلاه .. حين أتحول لسمة سعيدة تسبح في بحر دافئ يغمره الشمس وينساه الموج .. أو
حين أكون مدمنة أدريالين لا تفكر في الموت وإنما تشعر بنشوة هائلة حين تركب سيارة

مسرعة مجنونة بلا غطاء و الهواء يخترقها ويمر من خلالها .. حينها .. في هذه اللحظة فقط
سيباغتني الموت .. لأن الموت يباغت لكنه لا يراوغ !

قد يتخيل أحد أن ما يسيرني في الكتابة هو رهبتي الشديدة من الموت .. ربما هذا صحيح ..
ولكن إن كنت هكذا فلأنني أحب الحياة أكثر من أي شيء آخر .. أريد أن أعيش دائما .. لا أريد
للموت أن يقف في طريقي .. حتى وإن جاء .. فأنا أرغب بالقفز فوقه .. أفكر كثيرا بأنه لو
سامحني الله وغفر لي و وقاني عذاب النار فساطلب أن تكون جنتي تشبه حياتي التي أعيشها
الآن .. بكل ما فيها من فرح وحزن وانتصارات وانهزيمات وانسكارات وحب طاغي لكل
الأشياء الصغيرة جدا التي لا ينتبه إليها أحد .. بقوانين كثيرة أخطأها وأتجاوزها بخوف ولذة
.. لا أريد قصور تجري من تحتها الأنهار ولا أكواب وأباريق وكأس من معين ولا سرر من
حرير وقطوف دانية وولدان مخلصون .. أريد حياة كاملة بكل متناقضاتها .. ألم يقل الله : "ولهم
فيها ما يشتهون" .. أنا إذن أشتهي الدنيا .. وأريدها حياتي الآخرة !

لم يكن قصدي أول ما بدأت الكتابة أن أتحدث عن كل هذا .. كنت أريد فقط أن أحكي عن الفيلم
وتأثيره القاتل في .. لكنني انحرفت وأكثر مما ينبغي .. كأن الشاشة أرض ملساء تميل
بي بانحدار شديد ولا يوجد أي شيء لأتشبث به .. فقط انزلاق لا نهائي !

مرآة ل فتاة حرة !

لا أعرف وجهي في المرآة .. لأنها لا تراني وإنما ترى فتاة أخرى بكحل أسود كثير حول عينيها
وجفنيها .. حتى كأنها عقرت اصبعها برمد الفحم ثم مررته على عينيها .. فتاة بحالة مزرية
.. وأقول "مزرية" لأنني حين كتبت : "كان يوم مزري" .. جاء الرد : "ضحكة" .. وبعدها لا شيء
.. رغم أنني كنت أريد أن أحكي .. وكنت أنتظر فقط رؤية علامة استفهام حتى أبعثر خلفها جمل
كثيرة .. لا تنتهي ب نقط .. وإن كنت سأسمع خلف كل جملة ضحكة أخرى فلا يهم .. ما يهم أنه
كان يوجد احتمال ضئيل بأن أفضفض .. وكما قلت سابقا .. أنا أجيد الثرثرة .. لكني لا أجيد
الفضفضة .. وأعرف أنني لم أكن سأقول شيئا في النهاية .. لكن هذه العادة السيئة لا تفارقني
.. كأن أقول : لو عاد الوقت لكنت فعلت وفعلت وفعلت .. وإن عاد ... لا أفعل أي مما نوبته .. فقط
أعيد ما مضى بحذافيره وبغباء تام !..

أغسل وجهي بالماء فقط .. وهذا لا يكفي .. فأغمر رأسي كلها تحت الماء .. والسواد يطول باقي
وجهي ولا يغادر عيني .. أحضر رمانة منسية في الثلاجة منذ فترة طويلة .. أقطعها دون سكين
وأكل الحب مباشرة وأنا أستمتع بطعمه اللاذع والحامض في حلقي .. هل ضروري أن أغسل
يدي؟ .. لم أفعل .. رغم أن أصابعي التصقت ببعضها لكنني بالغت في السوء وأحضرت ثمرة
"مانجا" وأكلتها أيضا دون سكين تقطعها من المنتصف .. وملعقة تخرج قلبها .. وأنا لا احب
المانجة ولا الرمان .. وأنفر منهما إلى الفراولة والبرتقال اللذين أعشقهما كثيرا .. و... هل
ضروري أن أغسل يدي؟ .. هذه المرة كان ضروري جدا .. لكنني لم أفعل أيضا .. تجاهلت كل
شيء وتكورت على السرير ك جنين .. ونمت ! .. وحين استيقظت كل ما فكرت به أنني أرغب

في فعل شيء سيء كنتدخين سيجارة في سكون تام..والتلاشي مع الدخان ..تذكرت المسح التي أرسلتها لصديقتي الصيف الماضي ..حين كتبت أربعة أشياء سيئة للغاية أود أن أفعل أحدها ..اخبرتها أنني سأكون الشكل الصحيح للخطيئة ..لكنها بعثت إلي بـ رد قاسي جدا جعلني أزم شفتي ..وأدخن صمتي وغضبي ..!

أصل لأسوأ حالاتي عندما يريد أحد أن يجبرني على فعل شيء لا أريده ..حتى لو كان صحيحا ..حينها أفتش عن كل أخطاء الكون لأفعلها بعناد كبير ...كطفلة عنيدة يرغمها أبواها على الذهاب إلى المدرسة فتمرغ نفسها على الأرض وتبكي بشدة فيحملها رغما عنها إلى حيث يريدان ..هذا ما يفعله أبواي معي تماما الآن ..يريدان اجباري على سلك طريق اعرف أنه صحيح جدا والخير به كثير ..لأنني ساخطو على الورد ..يستندون مني القطوف .. وسأناال الرضا ..وأنا أصر على طريقي الملتوي والمتشابك والخاطيء ..وإن كنت حتى سأبتعد وأتوه ..فأنا أريد أن أسير وحدي ..وأصل وحدي ..لأنني لا أملك في العالم سوى حريتي ..وإن تخلت عنها _لن أدعي أنني سأموت _..لكنني سأصمت وأنزوي وببغت وجهي كجدار ..قلت في رسالة قريبة : “أفضل أحيانا أن أفقد كل شيء ..كي لا يملكني أي شيء ..عن حريتي أدافع ..عن فقري أدافع ..عن دفاعي أدافع” ..!

ها أنا أرقص على حافة السكين ..ومهما حدث لن أسمح بأن أكون حصى رتيبة ساكنة في قاع نهر راكد وسأظل أردد ما حييت بأنني لست أميرة في قصر ثلجي ..أنا صعلوكة في براري حريتي..

كي أعود يوما لأنظر في المرأة ...فأعرف وجهي !

قلب ريفي أرهقته مدينة !

بقبلتين سريعتين على وجه أمي وضمة ابتداء مشوار عمره ثلاثة أيام إلى الأسكندرية... انعقدت سيارتنا في حبل السيارات الطويل الممدود بين بداية الطريق وآخره.. كنت منتشية جدا ولا أتوقف عن الغناء ..كأنني شربت كأس وحيد أنتشي به ولا يسكرني من محل “drinks” الذي افتتح مؤخرا مجاورا لمنزلنا هناك ..وانتبهت إليه بدهشة كبيرة جعلتني أتسمر في مكاني أمام الواجهة الزجاجية التي تعطي ضي أخضر ..كل ما في المحل أخضر ..بدءا من يافطته وزجاج واجهته حتى لون الجدران والثلاجات والزجاجات داخلها ..وقفت وأنا أحاول أن أكتشف فقط إذا كان البائع هو الرجل الأخضر في فيلم “the incredible hulk” ..لم أعرف لأن أبي جذبني من ذراعي وهو يضحك على حملقتي ويقول “عادي!” ..لكنه لم يكن عادي لأنني الفتاة الريفية التي لا تعتاد على رؤية هذه الأشياء فما بالها بمحل أخضر مجاور لها ..لمماذا أخضر؟ ..كنت أحب اللون الأخضر ..مشيت من مكاني وأنا أفكر أن كل من يخطو داخل هذا المحل سيتحول

لضفدعة خضراء ..ولن يقارب ترعة أو زرع ... ما أتعس ضفدعة تمضي وحيدة على
الأسفلت في مدينة !

أما عني فكنت أمضي وأنا أكاد أجن ..لأنني أنظر لكل الوجوه ..أعرفها ..أعرفها جميعا ..
..وأستطيع أن أقول هذا فلان ..وهذه فلانة ..وأعود لأصحح هذا يشبه فلان وهذه تشبه فلانة
..هل سأكون مبالغة لو قلت أنني قابلت كل الوجوه التي أعرفها ..أشعر أن هذا ما حدث فعلا
..حتى صرت أتفادى النظر إلى أى وجه كي لا تنفجر رأسي بالحيرة ..الأغرب ..أن وجوه
أخرى كانت تنظر في وجهي أيضا .. وجوه لم أتعرف عليها ولم أنظر إليها..كانت تمضي
أمامي ثم تعود لتلتفت ..ربما أكون معتادة على نظرات البعض في الشارع ..لكن ليس بهذه
الطريقة .. وهذا الشكل ..الأمر تعدى كل الحدود ..ثمة خطأ ما.. ورغم أنني حاولت أن أتجاوز
كشيء عابر..كوجوه عابرة ..إلا أنني لم أستطع اخراجه من رأسي حتى الآن ..المهم أنني
تكيفت مع الوضع ..وحاولت الاستمتاع بكل لحظة ..لأنها أجازة قصيرة ..أجازة من التفكير و
وجع الرأس والتحديق في الشاشة والمكالمات الهاتفية والنوم والجلوس على ملل .. فألقيت بهاتفني
النقال لأبعد مكان في المنزل ..وجاهدت لأجعل رأسي خالية تماما كشفة هجرها أصحابها
وأخذوا معهم كل شيء.. توجهت مع أختي لـ جرين بلازا .. قطعنا تذاكر السينيما بعد أن
أخترت فيلم ” final destination 4 ” ودخلنا بزجاجة ماء وفشار .. لقطات اعلانية عن فيلم
كوميدي سينزل قريبا .. الأمور هادئة تماما ..حتى بدأ الفيلم .. الفيلم مرعب جدا ..و أنا أفضل
الأفلام الكوميدية أو الدرامية في السينما ..شعور أنني أشارك الضحك أو الألم مع عدد كبير من
الناس يسعدني و يريحني جدا ..لكن أن أشاركهم الخوف في عتمة قاعة وأصوات الرعب تخرج
من كل مكان بدءا من السماعات في الجدران كلها ..حتى الصراخ من فمي فهذا مالا أحتمله
..أختي تتوعدني بالقتل فور أن نخرج .. وأنا أذفن وجهي في كفي ولا أنظر ..والأصوات كفيلة
بأن يجف الدم كله في عروقي .. وأنشف..بجوارري شاب وفتاة يخافان معا..وأنا خائفة وحدي !
قلت لنفسي : لا يهم ..هذا أفضل !..وانتهى الفيلم الذي بدأ بعبارة ” الحياة عذاب وبعدها الموت .
آية أسئلة ؟” انتهى بموت كل أبطال الفيلم ..والمشاهدين الذين ماتوا رعبا ... خرجت وأنا أفكر
: لم يبق أحد ! وتذكرت ما كتبتة من عام وأطلقت عليه :”سأكون وحشا ..وسيخشاني ذوي
القلوب!” ..كنت كتبت :

” لن أشاهد أفلام رعب ثانية ..ولو توقفت حياتي على ذلك!”...من أسبوع قلت هذا لنفسي بحزم
بعد تلك الخيالات والصور والأفكار التي عبثت برأسي عندما صعدت مع صديقتين للدور
الأخير في صيدلة..كان الهدوء يخيم على المكان..لا أحد به سوانا...ومصدر الضوء الوحيد
شباك زجاجه من النوع المعتم.. يحافظ على شحوب المكان أكثر من نفاذيته للضوء..السلم
عريض بسيراميك أسود لامع ...وينتهي عند باب ما وراءه مظلم..يصدر منه أصوات عالية
لماكينات لا ندري كنهها ..للحظات ابتلعنا ريقنا بصعوبة خصوصا وأني كنت قد شاهدت في
الليلة السابقة فيلم رعب أحداثه كانت لا تزال تطاردني..كان منظر الوحش وهو يقتلع عيني
البطل لم يفارق رأسي بعد..شعرت في هدوء هذا المكان بالهدوء الذي يسبق انقراض الوحش
على فريسة يشم بها رائحة شيء يعجبه كقلب أو رئة أو حنجرة أو عين أو أي جزء
آخر..ظننت أن مقبض الباب سيدور في أي لحظة..ويتحرك الباب بأزيز سيجعلني أحك أذني
...وينقض علينا فجأة كائن غريب .. سيشبه طيور الظلام .. نصف خفاش ..ونصف انسان

..بجلد محروق..ربما نكتشف فيما بعد أنه طالب مات في حريق أصاب الجامعة في فترة الستينيات بعدما نجا الجميع بأنفسهم دون محاولة انقاذه..فنهشت الخفافيش جثته..لكنه نهض لينتقم من الجميع في ذكرى هذا الحريق والذي وافق ذلك اليوم الذي صعدنا فيه لهذا المكان..فكرت أن احدى صديقاتي ستقتلها الصدمة قبل حتى أن يفكر الوحش في لمسها..والأخرى ستنتظر له بتحدٍ .. قبل أن يأكل نظراتها أولاً ..ثم يلتهم ما يتبقى منها بتروى...أما أنا فسيقبلني عنوة..ثم يلتهم قلبي ..وبعد لحظات من تلك القبلية سأتحول إلى أنثى الوحش التي ستتغذى على القلوب فقط فيما بعد..باحثة عن قلبها في صدر أحدهم..أو على الأقل قلب يشبهه...لكنها لن تجد!....لغنت رأسي في هذه اللحظة..ونظرت لصديقتي اللتين كانا قد انهمكا في الحديث..أتذكر هذا كله الآن لسبب بسيط جدا...وهو أن ابن عمي من ساعة كان يحدثني عن فيلم الرعب الجديد “mirror” الذي دخله من يومين في السينما..وقررت أن أشاهده بعدما حكى لي عن حجم الرعب الذي سيطر على كل من شاهده...وعن مقاطعتهم نهائيا لكل أفلام الرعب فيما بعد...ولو توقفت حياتهم على ذلك!”

نفضت كل أفكار الرعب من رأسي كأنها غبار .. وذهبت مع أختي لتناول الغداء ..ثم جلسنا إلى مقهى نتجاذب أطراف الحديث والضحك ..و أنا أشدهما إلى ناحيتي بقوة ..لنتقع ضحكاتها وثرثرتها على الأرض ..وأضحك أنا أكثر..التنزه بصحبة رفقة ممتعة لأنه يكون بإمكانك حينها أن تكون مجنونا دون خجل ..أما حين تنمشى وحيدا فكل ما يمكنك فعله أن تضع يديك في جيوبك وفي قلبك أغنية تشبه ” إيديا في جيوبي وقلبي طرب ... ماشي في غربة بس مش مغترب .. وحدي لكن ونسان وماشى كدا ..ببتعد معرفش أو بقترب !” ...هذا ما أحسسته حين خرجت وحدي .. لم أستطع أن أتجنب التفكير والكتابة وفي الهواء ..أصابعي تتحرك رغما عني كأنها تنقر الكي بورد .. والعبارات تتناسل في رأسي كالقطط وتضيع .. حينها فكرت: ماذا لو كنت أستطيع أن أثبت كي بورد إلى وسطي وأمشي وأنا أكتب ...هل سأبدو مضحكة جدا ؟ حين وصلت لهذه النقطة شبكت أصابعي معا لأوقفها عن النقر في الهواء ..وعدت سريعا إلى المنزل.!

لم أنتهي ..أشياء كثيرة أود أن أحكيها ..لكنني مرهقة .. ربما يتبع! ما يهم أننا عقدنا سيارتنا مرة أخرى في حبال السيارات الممدود بين أول الطريق وآخره ..ورجعنا ..وانتهى المشوار بقلبتين على وجه أُمي .. وضمة !

طيري طيري يا عصفورة !

من فترة طويلة جدا تقارب العام لم أنم في أول الليل وأستيقظ مع الصباح ..لأنني لم أعد أعرف مواعيد نومي ..أنا مستيقظة حتى تسقط رأسي على كتفي .. وأنهض بمجرد أن أفتح عيني ..دون ميعاد محدد ..لكن أن أنام فترة الليل كما هو طبيعي ..فهذا مالا يحدث وما نسيت كيفية

حدوثه .. لكنه حدث اليوم .. في صغري كنت أنام في التاسعة تماما .. في النهار حين يسألني أحد :”بتنامي امتى ؟” ..كنت أجيب :”دودو بتنام الساعة تسعة “..وكانت التاسعة معاد مقدس جدا ..لأنني كنت أبكي لو صحبتني أُمي لكان ما وجاءت التاسعة وأنا خارج سريري ..حتى صار أقاربنا وأصدقائنا وكل من يعرفني ..يعرف أنني أنام في التاسعة ..وفي كل مرة تتأمل أُمي الهالات السوداء حول عيني ..تذكرني بهذه الأيام السعيدة ..ويبدو أنها كانت فعلا سعيدة ..لأنني استيقظت اليوم بمزاج طفلة بربطة شعر وردية ..نزلت إلى شجر الجوافة للمرة الأولى هذا الصيف ..وتنبهت لأنني كبرت وأصبحت فتاة طويلة حين رفعت يدي وأحنيّت غصن بسهولة وقطفت ثمرة ..لأن في الماضي كان شجر الجوافة هو السيرك الخاص بي ..كنت أتسلق الشجر ..وأستمتع جدا بالجلوس على غصن عالي معين .. والمكوث عليه لنصف النهار ..أُمي تخاف علي ..تأمرني أن أنزل حالا ..وأنا أبالغ في العناد ..وأصعد لفرع أعلى ..فتضحك على القرد الذي أنجبته ..وهي تعرف أنه لا فائدة من كلمة “انزلى” ..ذاكرة غضة تتربص بي هذا الصباح ... ورائحة حلوى كانت تحملها أُمي دائما في حقبتها .وتراب مرقّ ركبتيّ الصغيرتين ..وركض مع أولاد الجيران ..ألعب مع الذكور فقط ..فالاناث بالنسبة لي كانوا مصدر ضعف..أقع ..أنهض ...ألهث...لا أعترف أنني أقل منهم جدارة ..أنلور لأكون الجديرة بكل شيء ..حتى بعتاب أُمي !

كل ليلة كانت أناملها تسافر في شعري وهي تحكي لي حكايات ” ماما فضيلة” ..تلك التي واطبت سنوات على سماعها فقط لأجلى ...أو حكايات عن دراكولا الطيب ..دراكولا الذي لا يستعمل معجون أسنان ..ويثير الشفقة أكثر من طفل مصاب بالسكر ..أو لما يصبع اصبعها عصا كمنجه يخترقني وهي تقول :” انت اللى هتغني يامنعم” ..فيغني لها منعم :” بولا بولا .. بولا بولا ..بالموبيل ..بيتك يا عصفورة وين ..مابشوفك غير بتطيري ..ما عندك غير جناحين ..حاكينا كلمة صغيرة ..ولو سألونا بنقلن ..ما حاكينا العصفورة ...طيري طيري ...طيري طيري ...يااااا عصفورة !”...أو لما تغني لي :” يا اخواتي بحبها ...دي حبيبة أمها ...حبيبتى بكرة تكبر وتروح المدرسة ..ويقولو عليها شاطرة ونمرها كويسة “...كان صوتها حبوب النوم ... وكان كل ما احتاجه وقتها أن أسمعها وأنا اام ..كانت النجوم تعتريني من رأسي حتى أخمص قدمي ..والأحلام أكثر وضوحا .. وأقل مدعاة للقلق .. وتأتيني بعد التاسعة بثلاث دقائق !

هذه اللحظة في خطوط كفي بقايا تراب ... وفي قلبي : “بولا بولا ...بالموبيل” ..!

موسيقى وشمع وبخور وغرام !

الجو الذي أجلس به الآن فاتن..أطفأت النور ..أوقدت شمعة ..أشعلت بخور ..صنعت فنجان شاي بالنعناع ..وأدرت موسيقى رقيقة كنسيم ليلية صيفية جعلت كل الأشياء تنسجم مع بعضها في سحر ..وأنا بينها أتلاشى ..أعرف أن الضوء الصادر من الشاشة لا يناسب الوضع كثيرا ..لكنني فتحتها الآن فقط للكتابة ..الجو يغري بالحب ..بالسهر ..يغريني بكتابة رسائل غرامية

لشخص لا أعرفه التقيته صدفة..وبادلني نظرة أنذكرها جيدا كان يبحث بها في وجهي عن ملامح حبيبة هجرته دون وداع ..وأنا أبحث عن حبيب لم يأت بعد ..ولم يقل أنه سيتأخر ..!

سأتجاهل الجميع وسأكتب أي شيء وأترك خانة المرسل إليه فارغة لأن اللاحبيب اعتذر أخيرا عن كل المواعيد التي لم نحددها بعد...فهل أخدع قلبي ..وأصطنع الكتابة لرجل سأدعي أنني أعشقه كثيرا ..وأذوب به حتى الثمالة ..كما حدث وكتبت من سنوات طويلة رسالة و ادعيت أنها وصلنتي من شخص يذوب بي ..ويسهر الليل لأجلى وأن التجعيد الخفيف في الورقه سببه دموعه التي جفت عليها .. وقتها لم أكن أريد أن أشعر أنني محبوبة ..بقدر ما كنت أريد فقط ..أن يكتب لي رجل ..يكتب أي شيء...كل ما أردته أن تصلني ورقة ..مكتوب في وسطها اسمي فقط بخط كبير ..وينقف اسمه بخط صغير كتوقيع في نهايتها ..لأنه إذا فعل وكتب :”دعاء” بخشوع شديد ..سأقرأها وأغادر إلى السماوات كالتلاوات والصلوات والابتهاالات ..لأنني أصدق أن أسماؤنا وحدها تشبهنا ..وأنا أذوب في الأسماء وحروفها .. ومعانيها...!

لم أرغب بحبيب يهاتفني ويطلب لقائي ..أردت كلمات جميلة مكتوبة على مناديل هشة جدا تجعلني أعاملها برقة متناهية لأحافظ عليها وتعيش إلى الأبد ..لم يفهم أحد ..وحين فهم الشاعر الذي أحببته ..بعث لي بقصيدة ملفوفة في “إيميل” ..حاولت أن أتقبل الفكرة ..وأحبها ..وأستبدل رومانسية العصور الوسطى ..برومانسية حديثة تواكب الشاشة التي أضيئها وسط شموع وبخور وموسيقى .. لأكمل دائرة المتناقضات في حياتي ...وإن كنت حتى الآن .. أحلم بمنديل هش للغاية ..ومعاملة رقيقة .. وحلمي الصغير هذا كبير جدا على واقع لا يحتملني ويحتمل تفاهتي التي لا تقارب أحد ... !

أكور شفتي وأزفر بهدوء باتجاه الشمعة .. خيط دخان رفيع ينبت من اللهب المنطفىء.. ينسجم مع خيوط البخور ..أحاول تتبعه في الظلام ..فأدوخ وأتوه ..وأتلاشى أكثر !

عام دراسي سعيد .. بدون حب ومواعيد !

أبي يوقظني بالحاح ..وأنا لم أنم سوى نصف ساعة فقط ..لا أملك سوى أن أقول ” حاضر” ..وانطق يوووووووه طويلة لا تقارب أذنيه .. أفكر أن لا أحد من أصدقائي يوقظه أبويه صباح كل يوم دراسي ..والكل يذهب أو لا يذهب بإرادته باعتبار أننا لم نعد تلاميذ في الصف الثاني الابتدائي ..فلي الحق أن أستيقظ وحدي ..وأذهب وحدي .. لكن أبي يعاملني كأنني الطالبة الوحيدة على وجه الأرض ..التي ستغلق الجامعة في غيابها ..نهضت برغبة كبيرة في النوم ..بعينين نصف مفتوحة أتهاوى بين الجدارن .. أرغب في خمس دقائق فقط اضافية في السرير ..لكنني ضحيت بها حفاظا على ضغط أبي طبيعيا في أول الصباح..ارتديت ملابسني على عجل دون أن يكون لدي ما أتعجل له لأن الراوند ملغي اليوم ..و لن اقترب من المحاضرة ..فكرت أن ارضاء أبي سبب كافي .. ولم يغادرني الضيق إلا حينما تهيأت للمغادرة ووقفت أمام المرأة

مزهوة بنفسي .. ابتسمت لدعاء .. وخرجت وأنا أقول ” يجب أن تتوقفي عن عادة الابتسام في المرايا!“ لأنني لم يحدث أبدا أن نظرت في مرآة ولم أبتسم .. حتى في أيامي السيئة جدا .. حدث هذا مرة واحدة فقط .. أستطيع أن أحدها الآن بالتاريخ والساعة والدقيقة .. كنت أبكي وعيون الماء تتفجر .. نظرت في المرأة وأنا أغسل وجهي .. ووقت لحظة بجمود أراقبني وأنا أتساءل : هل سأبتسم ؟ .. كان سؤالا تافها جدا بالنسبة للموقف .. وكنت أكثر تفاهة حين حزنت لأنني عجزت عن الابتسام واكتشفت أن هذا لم يحدث من قبل .. لم أستسلم لهذه الذكريات .. نسيتهما سريعا وأنا أفكر أن صورتني في المرأة غير مكتملة .. ويلزمها صورة شاب وسيم يبتسم بجواري لأنني كنت أغني : ” جدع انت يا جميل الصورة .. يا مزققط زي العصفورة .. قرب جنبي واسمع قلبي هيقولك كلمة صغيرة “

” يلا اتأخرتي ! “ .. أبي يستعجلني فتتحول ابتسامتي وأغنيتي لضحكة في وجهه وأنطق “حاضر” .. أركب السيارة بجواره وأختي الصغرى بالمقعد الخلفي ماضية نحو اليوم الأول في حياتها الجامعية بحماس كبير .. أبي يعيد عليّ ما يقوله منذ أسبوع : ” تأخدي اختك تشتري لها بالطو وتعريفها الأقسام .. وما تسبهاش ! “ .. أنطق أيضا : ” حاضر يا بابا “ .. وأضحك الآن جدا وأنا أتذكر أنني تركتها عند بوابة الجامعة حين صادفت هي صديقة لتسلم عليها ومضيا معا بتشجيع مني لأن يجربا متعة الاكتشاف وحدهما .. هل أبدو أخت كبرى سيئة ؟ ... هذا صحيح .. لأنني أفضل دوما في تأدية هذا الدور ... لكنني أعرف أيضا أن آخر ما تريده هي .. هو أخت كبرى تمسك يدها في الشارع والكلية ..

أنا أيضا أقابل صديقتي .. نصعد للمحاضرة .. نلقي نظرة على المدرج ونكتشف أنه معمل تدجين للانفلونزا .. نخرج سريعا بانتشاء كبير وثرثرة وضحكات كثيرة .. نتجول أسفل الكوبري ونتأمل الجو العام .. الشباب الصغير يراقب الفتيات الصغيرات .. ويراقبنا أيضا .. ونحن نريد أن نخبرهم اننا أصبحنا “كبار” .. نحن الآن في الفرقة الخامسة .. وبما أن الفرقة السادسة في أجازة .. فلا يوجد من هم أكبر منا .. وهذا ليس جيدا كما يبدو .. لأنني حين كنت في الفرقة الأولى كنت أقول : ” أريد أن يحبني شاب في الفرقة الثانية أو الثالثة أو الرابعة .. أو الخامسة .. أو السادسة ! “ أما الآن ... !! وإن كنت لم أعد أبحث عن الحب لعلمي أنه سيأتي يلهث ورائي بمجرد أن أعطيه ظهري وأمضي بتجاهل شديد ، كطفل صغير تظل تلاطفه وتلاعبه وتتحول أمامه لبهلوان كي ينظر إليك فقط ويضحك فلا يفعل .. وبمجرد ان تعرض عنه وتنشغل بشيء آخر يأتيك وحده يحاول لفت انتباهك ويضحك ويبيكي .. ويفعل كل شيء كي تهتم به ثانية .. وأنا مرهقة جدا وأحتاج للراحة بحجم سنوات عمري العشرين ولم يعد لدي طاقة لتأدية دور البهلوان أمام طفل شقي مكابر لا يكبر .. أكثر ما أضحكني اليوم حين اقترب منا فتى مع صديقه بعلامة صلاة تنمو في جبهته وذقن صغيرة نابذة .. ينظر ويوجه كلامه إلينا قائلا : ” هذه فتنة يا أخ محمود ! “ .. لم أتمالك نفسي أمام عبارة الفتى الأمردا .. والآن أضحك مرة أخرى على الشيخ الصبي وأنا أضع يدي على بشرتي التي تحرقني كثيرا بسبب الشمس .. وأفرغت علبة كريم عليها ولا فائدة .. ألا يكفيها انها لوحتها بـ “السمرة” في نهار واحد .. وإن كنت قمت بأكثر من مشوار تحتها فهذا ليس مبرر لقسوتها معي .. زعلانة منك يا شمس يا برتقاني _

كنت قد ذهبت لمحل حلويات لأحجز “تورته” لعيد الميلاد غدا .. أختي عيد ميلادها بعد ثلاثة أيام .. وخطيبها عيد ميلاده كان من ثلاثة أيام .. لهذا توصلا معا ليوم في منتصف المسافة بينهما

يحتفلا فيه بعيد ميلاديهما معا .. ويتبادلا الهدايا والأحلام .. وصيت البائع أن يكتب على التورتة "أحمد وشيماء" في قلب واحد .. ومضيت وأنا افكر في الجدع جميل الصورة حين يأتي فأتخلى عن أنانيتي لأجله ويتخلى عن أنانيته لأجلي ونكون في منتصف المسافة بيننا "أنا" واحدة .. نقف أمام المرأة نبتسم معا ونستكمل الأغنية : "وقفنا في ألف مراية بالبدلة والفستان .. وهنتهي الحكاية .. واحنا ملناش مكان ... صبرت في البداية .. وهصبر للنهاية .. الصبر عندى هواية .. وأنا وانت والزمان !"

الحاضرة الغائبة !

أبي لم يوقظني هذا الصباح .. رغم أن الوقت تأخر .. كأنه لم يرَ باب الغرفة مغلقا .. والشبابيك ايضا .. كل أشيائي ساكنة كأن الليل تكوم على النهار .. دولابي مغلق ك سر .. الشاشة مطفية .. ولا تنبض بالأصدقاء الداخلين والخارجين في الماسنجر .. كشهيق و زفير .. الفوضى مرتبة و مطوية بعناية و ترجوني أن أستيقظ سريعا لأبعثرها وأنشرها مع الموسيقى كأنني أقف كل صباح على سطح بناية عالية تداعب السحاب وأنثرها كالمطر .. كل الهدوء و كل الصمت يشي بأنني لم أنهض بعد .. وأبي لم ينتبه لهذه الوشايات على غير العادة .. رغم أنني شعرتة يفتح باب الغرفة مرة ثم يغلقه .. كأنه لم يراني !! .. صحت باستغراب وضيق لأنني تعودت على اسطوانات الصباح التي أسمعها منه والتي صارت تشبه في أذني : " يا حلو صبح يا حلو طل .. يا حلو صبح نهارنا فل!" .. بدلت ملابسي في عشر دقائق استطعت خلالها أن أقلب غرفتي رأسا على عقب كأن قبلة انفجرت في الحجرة وخرجت وأنا أقول : " ماشاء الله علي .. أنا أطور " .. الدولاب مفتوح على مصراعيه والملابس متدللية منه كلسان يغيظ به كل من يفكر دخول الغرفة في غيابي .. أو يحاول التذمر من المنظر .. حقائبي مكومة على المكتب .. الرجل في السماعات يغني بحماس .. والأحذية مبعثرة مع ملابس النوم على الأرض .. الغرفة تحتاج للاستئصال فورا من المنزل .. أنظر لها مرة أخيرة ثم أذهب إلى الراوند .. ولأنني دائما متأخرة .. فتكون المقاعد كلها مشغولة وأقف دقيقتين حتى أكتشف مقعد شاغر أو حتى يدلني أحدهم عليه .. هذه المرة رغم أن القاعة كانت ممتلئة عن آخرها .. إلا أنني وجدت كرسي بسهولة وجلست عليه دون أن ينتبه أحد لدخولي .. أويتلفت حوله لمساعدتي في إيجاد واحدا .. هذا دفعني لأتساءل : هل شعر أحد بقدومي؟ .. هل رأي أحد ؟ .. جلست ولم أشعر بنظرات خالد زميلي التي تراقبني طوال الوقت .. والذي أتجنب النظر في اتجاهه دائما كي لا يظن أنني أبادله النظرات .. لأن كل شاب يتخيل أن أي فتاة تنتظر في الاتجاه الذي يجلس به .. فهي تنتظر إليه .. أحدهم قال لي مما يزيد عن ٦ سنوات .. أنه في كل مرة تمر فتاة من أمامه فتعدل من وضع طرحتها .. أو تنتظر لشيء ما خلفه .. فهو يتأكد من أنها تحاول لفت نظره .. وفيما بعد اكتشفت أن كل الرجال يفكرون بهذه الطريقة .. ولن أبرأ الفتيات .. فأنا أدري أن معظم الفتيات يحاولن جذب أنظار معظم الشباب .. لكنهن لا يقصدن هذا الشاب تحديدا كما يتخيل كل واحد منهم .. ما يهم أنني عرفت بعد قليل أن خالد غير موجود .. رغم أنني أردته اليوم فقط أن يأتي وينظر إلي لأشعر أنني موجودة _ فقط _ ... جلست في أحد الجوانب وحدي أستمع لشرح الدكتور .. دون زميلة

تخبرني بأي شيء بين وقت وآخر .. ودون زميل أتفادى النظر باتجاهه .. انتهى الراوند ..
وصعدت للدور الأعلى لأثبت حضوري .. رفضت السكرتيرة وكتبتني غياب .. أقسم لها أنني
حضرت الراوند من بدايته .. وهي تصر .. وتخبرني أن تسجيل الحضور في بداية الراوند ..
وليس في نهايته .. ألوي شفتي بامتعاظ .. وأنزل السلالم وحدي .. وأنا الوحيدة .. أتوحد أكثر
.. أضع السماعات في أذني .. والموسيقى تهيج كبحر .. أجلس في الكلية طويلا .. انتظر قدوم
الأصدقاء .. لا أحد يأتي .. اهاتفهم .. لا أحد يرد .. تمر صديقة مسرعة .. ألمحها من ظهرها ..
لا أفكر بمناداتها لأنني صرت أعرف أن صوتي الذي لا يتكلم .. وهنه على شيء سيسقط في
الفراغ .. ولن يصل .. أغادر .. أعود لغرفتي .. وأنظر في المرأة طويلا .. المرأة تراني .. أغلق
عيني .. أصوّر المرأة وعيني مغلقة .. أيضا تراني .. أضع "طرحه" زرقاء على شعري ..
تراني ... أرتمي نظارة شمسية .. تراني .. أروح وأجيء .. أصنع عصير برتقال .. وأعود
أشربه أمام المرأة .. تراني ... تراني ... تراني ...! .. لماذا شعرت إذن طوال اليوم أنني غير
مرئية !

أظل عطشان وأحلم ببيك يا ماي *

منذ أكثر من أسبوع وأنا أشعر بالظما الشديد .. وليس بإمكان أنهار الكون كلها أن ترويني ..
حلقي جاف .. وكأس الماء لا يفارق يدي .. ومع كل رشفة العطش يزداد أكثر .. وشراحتي للمياه
تتفاقم .. كأنني فتاة حولها دراكولا منذ أيام قليلة إلى مصاصة دماء مسكينة تجلس مستندة على
جدار في شارع مظلم .. تتلوى من العطش وتحاول بلع ريقها بمعاناة صحراء تحرقها الشمس ..
أتذكر الآن يوم الأحد الفائت حين ذهبت لأجري تحليل دم للمرة الأولى بحياتي .. الممرضة
تتحسس وريدي البارز .. تحاول إبرازه أكثر .. تغرس الأبرة برفق .. وأنا لا أغمض عيني
بقوة كما اعتدت ان أفعل مع كل ألم ... أنظر إلى دمائي وهي تغادر وريدي مذعورة .. لونها
يشبه الأسود القاتم جدا وأنا أفتش عن الأحمر ولا أجده .. أدركت بحزن أنها تغادر الوطن في
قلبي وليس ثمة طريق يشبه الوريد للرجوع .. فكرت لحظتها أن كل وداع هو بصورة أو
بأخرى لا يتعدى كونه نزع .. يوجع ويؤلم ومع الوقت يُنسى .. تخيلت الممرضة هي دراكولا
التي شربت من دمي وحولتني إلى هذه الفتاة الظمأنة التي لا تعرف كيف ترتوي .. هذا الشعور
الذي لازمني من أول اليوم إلى آخره ... بدأ حين كنت خارجة من البيت في الصباح و توقفت
فجأة عند آخر سلالم البيت : "نسيت أشرب" .. صعدت سريعا وبالمطبخ وجدت كأسا ممتلئا إلى
نصفه كنت قد وضعتهُ للتو على الطاولة .. نظرت له برفع حاجب ثم شربته إلى نهايته ونزلت
..

لم أفكر طوال الطريق في أي شيء .. كنت شاردة وغير منتبهة .. وحين انتهيت في النهاية
وددت لو يعود الطريق من أوله لأفكر في حكاية "عن شيطان فتاة" وأتخيل الأحداث القادمة ..
أتذكر الآن "إيمان" حين قالت لي في المساء : "الحكاية دي عنك .. أنا متأكدة" .. نفيت ... وأخذت
هي تصر .. ولكنني الآن لا أنفي .. فأنا أكتب ما كان يمكن أن يحدث لي .. الحياة التي كان من
الممكن أن تكون .. تماما كما يقول ساراماجو: "من سيكتب التاريخ الذي كان يمكن أن يكون !"

.. حين قرأت هذه الجملة أول مرة وضعت تحتها خطأ وكتبت بجوارها .. "أريد بشدة أن أفعل"
.. وكل ما أفعله الآن أنني أحاول وأنا أعرف أن كل الحكايات هي محاولات لكتابة تاريخ كان
من الممكن أن يكون ... أو سيكون ...

وصلت الجامعة في حوالي الحادية عشر والنصف .. ووجدت على الفور غادة وعلا وعزة ..
قضينا أكثر من ساعتين رائعتين معا حد أن أحمد حين هاتفني أول ما استيقظ سألني: "مالك
مبسوطة كده !" .. التقطنا العديد من الصور .. جاءت أسماء ومنال قبل أن يأتي أحمد بقليل
ونغادر .. وانتابني حزن صغير لأنني سأترك أسماء سريعا دون أن أمضي مزيدا من الوقت
برفقتها .. أما عن منال فكان الفراق الذي نما بيننا منذ عام كنبات شيطاني يمتد ويتشابك
 ويفصلنا تماما ... وقفت على مسافة قليلة منها أنتظرها تنطق: "أزيك يا دعاء" .. لم تفعل .. ولم
أفعل أنا أيضا .. حتى نهاية اليوم حين قابلتها ثانية في حفل " هشام الجخ" .. ذهبت إليها وقلت
أنني لا أتذكر لماذا حتى تشاجرنا .. لا أتذكر سوى أنك منال صديقتي فقط ... وكنت أعني كل
حرف مما قلته .. تصالحنا وتلاشت كل الأفرع والغصون المتشابكة وأطرافها الحادة بفرقة
اصبعين في الهواء .. تعانقنا بقوة وشوق عام كالأمل كان فيه التجاهل هو سلوكنا ومنهجنا
الوحيد ... ورغم أن اليوم بأكمله كان رائعا .. إلا أنني اعتبرت هذا الحدث هو نصره الكبير ..

في حوالي الواحدة والنصف ذهبت مع أحمد إلى كورس الألمانى ... شعرت أن فراو أمل ليست
في مزاج جيد جدا .. أحمد قال أنني أتخيل ولو كان ما قلته صحيحا فربما لأننا تأخرنا على
موعدنا معها كثيرا ربما ... ما يهمني أنني حين خرجت من الكورس كانت في
رأسي فكرة واحدة وهي أنني بحاجة ماسة لأن أذاكر ألماني طويلا بعدما راكمت دروس كثيرة
.. وأحببت أن أتخيل أن هذا سبب ضيق فراو أمل .. كي أتخفف أكثر للمذاكرة !

كانت الساعة في حوالي الخامس إلا الربع .. وكنا قد تأخرنا على موعد الحفل كثيرا ... ألغينا
الغداء واشترينا بالطريق سناكس و زجاجة ماء ولكن بعدما تأخر الحفل أكثر من ساعتين عن
موعده عرفنا أنه لم يكن هناك داع للعجلة ..

لم نشعر بالملل لطول الوقت وإنما مضى سريعا بين مواهب جميلة تغني وتمثل وتلقي الشعر
... أعجبت بأكثرهم .. ولكن شاب واحد أحدث زلزالا صغيرا في روحي وهو يغني بصوته
العذب جدا جدا جدا :

نحلم على كيفنا .. نغلب عذاب خوفنا .. نرسم على كفوفنا .. قلبين وسهم اترمى

ما يهمناش الليل .. ولا ألف جرح و ويل .. طول ما الحياة بتميل .. نعدلها واحنا سوا

قادر أكون وهكون .. عاشق بحب الكون

والأمنيات واللون .. والفجر لما يعود

الأغنية رائعة .. والصوت أكثر من رائع حد أنني فُتنت بالاثنتين معا .. ورغم أنني عرفت أن
الأغنية لمحمد فؤاد بالأساس .. وأنا لا أستلطفه كثيرا .. إلا أنني لم أكن سمعتها منه وهذا كافي
لأن أنسب الأغنية انتساب كامل لهذا الصوت ...

جاء "هشام الجخ" في السابعة والنصف تقريبا .. وكاد صوت التصفيق الحاد والصفير أن يصم أذني .. هذا الصوت الذي ما توقف طوال الحفل وجعلني أتذكر عبارة هشام الجخ عن حلمه: "عايز لما أموت .. العالم كله يقول هشام الجخ مات" .. العبارة التي جعلتني أفكر أنه لو كان بإمكانني أن أحلم حلم غيري .. لكان هذا الحلم .. غير أنني لا أستطيع أن أفعل هذا .. الأحلام بالنسبة لي أمر حميمي للغاية .. لا يجوز تقليده أو التشبه به .. ولهذا أنا أحاول أن أصنع أحلامي الخاصة .. أحلامي التي تناسبني وحدي ولا تناسب غيري كحذاء سندريلا .. وأحاول أن أمتلك الإيمان بقدرتي على تحقيقها .. الإيمان الذي تأكدت من وجوده في قلبي لحظة غنى الشاب: "قادر أكون وهكون!" فاهتزت الأرض من تحتي!

عن الحفل مرة أخرى ... كان رائعا إلى أقصى حد .. أنظر إلى أحمد بين دقيقة وأخرى .. بسعادة طاغية لكونه حبيبي .. لكونه الرجل الذي يمسك بيدي ويعبر بي منعطفات العالم أجمع .. فكرت بهذا عقب انتهاء الحفل .. بيده التي لا تترك يدي .. بارهاقي وتعيبي الذي نام على كتفه .. وهو يوقظني برفق لأحدث أمني ..!

أصل المنزل في العاشرة والنصف تقريبا .. بحكايا وتفاصيل كثيرة .. ورغبة هائلة بالنوم أبدل ملابسني سريعا .. أتفقد الفيس بوك سريعا .. أطمئن على وصول أحمد لمنزله ... أشرب زجاجة مياة كاملة ... وبعطش كبير أنام!

*أظل عشان وأحلم ببيك يا ماي : من أغنية أنا بلياك .. للمطرب العراقي: "إلهام المدفعي"

انظري يا ماما ... بابا يطير !!

منذ أكثر من خمس سنوات كنت قد بدأت في قراءة رواية "عالم صوفي" لـ "جوستاين غاردر" .. وللأسف لم أنهيتها حتى الآن ... كنت في السابعة عشر تقريبا أو أقل قليلا .. والرواية ضخمة للغاية وليست مشوقة على الإطلاق .. أمضيت عدة أيام وأنا أفني مقلتي بها بنفاد صبر وإصرار على إكمالها فقط كي أتمكن ذات غرور من أن أقول: "لقد أنهيت هذه الرواية الصعبة!" .. لكنني لم أنل هذا الشرف .. وألقيتها من يدي بعيدا قبل أن أصل حتى إلى منتصفها بعدما توصلت لنتيجة مفداها أنني "لا أفهم شيئا" .. أو أنني أفهم كل سطر على حدة .. دون أن أصل لفهم المعنى العام ... وإن كنت أعيد التفكير في هذه النتيجة الآن ولدي رغبة قوية بالمحاولة مرة أخرى بهدف معرفة الفارق بين درجة استيعاب عقلي قبل خمس سنين والآن!

وبعيدا عن كل هذه الثروة التي لا علاقة لها بالموضوع فأنا أود أن أقول أنني تذكرت هذه الرواية اليوم بالذات لأنني كنت أفكر في معنى لـ "الدهشة" .. لم يأت الأمر على هذا النحو أيضا ،، وإنما أتى حين كنت مستلقية على السرير هذا الصباح ولم أنهض بعد .. كنت أفكر في كل الأشخاص حولي وأتخيل وجوههم وردود أفعالهم حين تصيبهم الدهشة .. أول من تخيلتها كانت "غادة" .. تذكرتها وهي ترفع حاجبها وتفتح عينيها على آخرهما حتى تكاد تخرج من محجريهما كأفلام "توم & جيري" وتشهق .. تخيلت وجهها مرات ومرات وأنا أضحك .. وهذا دفعني لأن أقول في سري: "طيب ماما" ... حين أقص عليها شيئا يدهشها .. تقوم بنفس رد فعل غادة أحيانا لكنها في أغلب الوقت تشهق: "لأ ... اقعدني ساكتة!!" ... أما عن أبي ... فهو

يطلق ضحكة عالية مهما كان مصدر الدهشة جيدا أو سيئا .. فقط يطلق هذه الضحكة مبدئيا ومن بعدها يفعل بالفرح أو الغضب ... أما أحمد ... فرد فعله الأول هو السخرية بكلمات وجمل تثير ضحكي .. ثم يبدأ بعدها في أخذ الأمر بجدية ... محمد أخي .. حين تصيبه الدهشة يتسمر في مكانه .. فلو كان يشرب مثلا يده تظل مرفوعة لثواني طويلة .. ولو كان يهم بالجلوس يظل مهما به .. ولو كان يضحك أو يبكي أو يفعل أي شيء بالدنيا فهو يتجمد على وضعه الأخير ... مي صديقتي ترجع خطوتين إلى الوراء .. أسماء تصمت تماما لفترة وتتجمد ملامح وجهها مع اتساع ضئيل في عينيها ... وهكذا .. حاولت تخيل كل من أعرفهم لحظة دهشتهم ...

أما عن دهشتي أنا .. فلا أعرف ... ربما أنا بحاجة لمن يخبرني عنها .. وربما ليس لي رد فعل معين يميز دهشتي .. أعرف فقط أنني في أحيان كثيرة أفتعل دهشة تليق بالموقف .. و بغض النظر عن كوني ممثلة فاشلة وبإمكان من يعرفني جيدا أن يميز بسهولة افتعالي هذا إلا أنني بحاجة فعلا لمن يخبرني عن دهشتي الحقيقية !

منذ عدة ساعات جاءني تعليق على صورة كنت قد وضعتها على الفيس بوك لشكل "جنينة البيت" بعدما غسلها المطر:

Although I live in the country and i see such scenes every day, this photo is really amazing

فقلت :

"Although i see this scene every hour ... it always amazes me"

بعدها فكرت أن هذا لم يحدث إلا منذ سنوات قليلة فقط .. وأنتي في صغري كنت أرى هذا المشهد دائما دون أن تصيبنني أي دهشة .. في هذه اللحظة بالضبط تذكرت مشهدا من رواية "عالم صوفي" . وربما هو الشيء الوحيد الذي أتذكره منها : " الأب والأم مع طفلهما الصغير في المنزل .. الأم مشغولة في المطبخ ..والأب يلهو مع الابن ... فجأة الأب يطير حتى يصل إلى السقف .. فيضحك الطفل ويظن أن أبيه يلاعبه وينادي على امه : "انظري يا ماما .. بابا يطير !" .. وفور أن تراه الأم يسقط مغشيا عليها من فرط الدهشة !! " *

أما عن دهشتي مرة ثانية .. فأنا أذهل من أشياء صغيرة للغاية ..بينما أشياء أخرى هائلة لا تسترعي انتباهي حتى ... ثمة خطأ ما لا أدركه ... خطأ ربما تفسيره في "عالم صوفي" !

* هذا المشهد رويته كما أتذكره وليس كما أورده "جوستاين غاردر" في روايته حين أراد أن يبين كيف هي عقول الأطفال ليس لها حدود ولا تعرف ما يسمى بالمستحيل .. بينما عقول الكبار صارت سجيناً للواقع!

مطر ... مطر !

القلوب التي تنفتح للمرة الأولى .. يطعنها ألا تجد المطر بانتظارها*

ثلاثة أعوام وأنا أردد هذه العبارة بإيمان تام أنه في الجفاف سيشقق قلبي.. وسيدبل.. ويموت .. أردها بخشوع وأنا أصلي استسقاء لقلب يشبه الصيف لا يعرف شيئاً عن انبعاث المطر .. أردها وأنا أقصد : "متجرحنيش" .. لأنني لا أعرف كيف أطلب .. وكيف أمر .. ولا أعرف طعاماً للأشياء التي تأتي بعد طلب .. فأجتهد طويلاً في صنع عبارات ملتوية ومتشابكة ومرهقة .. لكنها تقضي إلى النهر في نهاية الغابة .. حيث أجلس أنا .. أنتظره .. ولا أقارب الماء .. حتي يأتي .. فيحنني على النهر .. يملأ كفيه ويرفعهما إلي لأشرب وأرتوي وأبلل قلبي .. ثم يشرب من بعدي .. وأنا أمرر سبابتي على مسار الماء .. من شفتيه .. لعنقه .. لصدره .. أنحرف قليلاً لليسار .. أصل لقلبه .. أصنع دوائر باصبعي وأهمس : "أنا هنا .. أدوووخ" .. يمسك اصبعي قبل أن أسقط من الدوار .. "أنا هنا أدفعك على أرجوحة من نور" .. أدوخ أكثر .. "إذن توقف" .. يفرد كفي على قلبه : "بسملي عليه .. باركيه يا دعاء" .. باغماضة عين و خدر أنطق : "قل أعوذ برب الحب" .. أشعر بقطرات ماء على رأسي .. على يدي التي تدثر قلبه .. ينهمر المطر .. على قلبينا معا .. يسألني : "أعلمين أي حب يبعث المطر؟" .. أجيب : "أعلم في أي قلب يسقط المطر!"

* هديل الحضيف

ساكنة جدا ... كإعصار !

ساكنة جدا .. كريح احتبست في رئة ميتة .. رأيته .. تصعد سلالم المستنشى ببطء .. تبحث عن قسم القلب بحيرتها الأولى .. تود لو تسرع لأن الثقوب السوداء في قلبها تتسع كثيراً .. لكنها تمشي بالبطء ذاته .. لماذا تفعل هذه المرة ما توده .. وهي تتجاهل كل رغباتها منذ فترة ليست قصيرة لأنها ترغب فقط في تجاهلها .. "غباء !" .. تصل أخيراً لرفاقها ذوي القلوب الضعيفة .. الطلبة تلتف حول الدكتور وهو يشرح على إحدى الرفاق .. يتكلم بسرعة .. يبتسم بين الجمل .. الطلبة يبادلونه الابتسام .. وهي تخجل من أن تبتسم في حضرة كل هذا الألم .. التأوهات تملأ

العنبر .. تملأ المستشفى .. تملأها .. تشطرها نصفين .. نصف يتعذب من أجلهم .. ونصف يحسدهم لأنهم بإمكانهم رتق الثقوب بالآه .. أما هي فتعطي .. لا تتأوه .. لا تضع يدها على قلبها .. لا تدثره من البرد الذي يأكله كحبة فراولة .. تعرف أنه سليم تماما .. ولن يرتبك في الشاشات الكثيرة .. لكنها تتيقن من كونه مليء بالثقوب الصغيرة التي تضيق حتى تختفي في النهار وتتسع كثقب الأوزون في الليل حتى يصير بإمكانها أن تبتلع الكون دون غصة .. ينتهي الدكتور من الشرح .. تغادر مع بقية الطلبة إلى قاعة الراوند .. تعيش أكثر لحظات يومها غربة بين فتیان وفتيات فشلت طوال أربع سنوات مضت في معاشتهم ومجاراتهم كرفاق !.. تجلس بوحدها الأولى والثانية والثالثة واللانهائية .. ساكنة جدا .. الأغنية في أذنها تتشكل على وقع النبض .. ثلاثم قلبها تماما .. تعدد "forty one way to die" .. تقاطع ذراعيها على الديسك أمامها .. تلقي برأسها فوقهما .. تغمض عينيها .. لا ترى عالمهم .. تتمنى و تتمنى لو لا يراها بدوره .. تصدق أن هذا حدث .. ورغم الموت الذي ينساب داخلها بواحد وأربعين طريقة .. تخترقها أحاديث الفتيات كأسهم شاردة .. كـ "وليام تيل" فاشل يقتل ابنه بكل الطرق .. ثم يجلس بجواره يقضم التفاحة .. احدهن تشتكي أن رأسها سيحترق لكثرة الكتب التي قراتها .. تجيبها الأخرى أنها لا تمتلك صبرا تقرأ به "ميكى ماوس" .. تغيطها الأولى .. لا تأبه للأخيرة .. ترفع رأسها لذات الرأس المحترق .. تمسك في يدها كتابا .. لا تستطيع أن ترى العنوان .. تكتشف طريقة ثانية وأربعين للموت .. تشب بجسدها .. تقشل مرة أخرى .. تخرج من سكونها أخيرا وتسال ذات الرأس المحترق أن تريها إياه .. تناوله لها بود .. "لعنة الفراغة أنيس منصور" .. ترتاح و تعيده إليها .. تعود لسكونها .. حسنا .. هي تحب أنيس منصور .. ولكن الفراغة بلعناتهم لا يستهوها كثيرا .. ينتهي الراوند .. تغادر بالبطء ذاته .. وبعد ارهاق طويل على مكاتب الموظفين من أجل امضاء وطابع ودمغة .. تعود لبيتها .. أمها تشاهد برنامج ديني بعين دامعة .. تسألها عن سبب دموعها قبل أن تنتبه للبرنامج .. فتجيب أنها تحلم لو كانت أفضل .. تدخل غرفتها وهي لا تفكر بحال أفضل لنفسها .. تتكور على السرير كجنين .. ساكنة جدا .. والريح في صدرها تتحول لا عصار ... في حالتها هذه تستطيع تشكيل كلمات كرماع وأسهم .. تصوبها كيف تشاء .. اجتماع ما يتضاد يؤلم كثيرا .. عليها الانتظار حتى ينصهر أحدهما !

كأنني عصاه !

الثالثة والنصف بعد منتصف ليل يمضي بطيئا جدا كأنه كهل بساق مكسورة و عصا ضائعة .. وهي وحدها .. تحاول مد يدها لتساعده على المشي أسرع قليلا .. تغمض عينيها وتدعي النوم .. لا تفكر بأي شيء .. تمر ساعة ولا زالت تدعي .. تستسلم لصحيانها وتحاول أن تتسلى لتتسلى النظر في الساعة كل دقيقة .. تتذكر "مصطفى محمود" في كتابه "الأحلام" الذي أنهته من بضع ساعات حين قال : "أحسن تسلية تضيق بها وقت فراغك أن تجلس وحدك في عزلة وتغمض عينيك وتذكر العواطف التي شعرت بها وكل الدوافع التي تأرجحت بينها وكل الأفعال التي أتيتها والكلمات التي قلتها والنيات التي أخفيها ثم تحاول أن تصل لحقيقتك وستجد أن حقيقتك

ستدهشك وتفاجئك كأنها حقيقة رجل آخر لا تعرفه” ..تغمض عينيها وتبحث عن الفتاة الأخرى في داخلها .. تكتشف أن الليل الكهل يمضي في قلبها .. وليس ثمة مصباح يساعدها في البحث.. هذا بجانب أن الفتاة الأخرى لا تقف في منتصف طريق وتصيح “ها أنا ذا !” .. وإنما تختبئ في طرقات ضيقة وأزقة وكلما سمعت وقع خطواتها تقترب منها ركضت لأماكن أضيق وأبعد لا تطالها الأولى .. شعرت أنها تركض داخلها و رنتيها تلهث .. توقفت بيد تستند على جدار ويد أخرى على قلبها الذي يدق كثيرا وجذعها ينثني إلى الأمام من التعب .. هذه اللعبة لا تسليها وإنما ترهقها وتستنزفها .. والفتاة الأخرى بعيدا تضحك وتكررك .. لعنت مصطفى محمود ولعنت الكتاب بأكمله .. ذكرت نفسها أنها رغم إعجابها الشديد بهذا الكتاب إلا أنها كرهته بشدة أيضا .. لأنه قال :”المرأة كمية مهمة حتى نحبها .. فتوجد .. وفي الحقيقة نحن لا نحبها لذاتها وإنما نحب الوهم الذي صنعناه منها “!!!! .. كرهته جدا حين قرأت هذه الجملة و أراحته بعيدا عنها رغم أنها كانت قبلها تتلف لأكماله فكانت تقرأ فصلا من أوله وآخر من آخره بحماقة أنها هكذا ستنتهي أسرع .. هذه الجملة جعلتها تراجع كل السطور التي قرأتها لتكتشف أنها موجهة إلى الرجل فقط .. حتى في هذه الفقرة التي جعلتها تتذكر الكتاب الآن قال :”حقيقة رجل آخر لا تعرفه” ... وأنه حين تحدث أخيرا عن النساء تحدث بطريقة أغاظتها جدا وأحرق دمه :”الكراسي والأشجار والحيوانات والنساء والفواكه تظل أشياء لا معني لها حتى نطلبها ونشتهيها ونجري وراءها فتنبض بالحياة والأهمية “!!!! حتى حينما تحدث عن الطفولة فإنه تحدث عن الطفل الذكر ولم يتحدث عن الطفلة الأنثى على الإطلاق .. وروعة الكتاب وفلسفته العميقة وأسلوبه البسيط والساحر لا يشفع له نهائيا هذا الموقف ضد المرأة وإنما يسيء إليه أكثر لأنه كون رجل على هذا القدر من العقل والذكاء والحكمة والثقافة والوعي ويعتبر المرأة مجرد رغبة وشيء يشتهي الرجل لا أكثر .. ويؤكد على هذه الفكرة طوال الصفحات كأن العالم فرغ من كل ما به إلا هذه الرغبة فهذا مخزي جدا ولا يُحتمل !

الرابعة والليل العجوز لا يمضي وإنما يجلس ليستريح بين دقيقة وأخرى .. نهضت من سريرها .. توضأت .. و صلت ثم جلست في مكانها قليلا .. شعرت بالبرد يخترق عظامها وملابسها الخفيفة وتعتطس .. وضعت على كتفها شال صوف وأدارت التلفزيون .. قلبت القنوات عن ضجر .. أفلام .. مسلسلات .. أغاني .. برامج تافهة جدا .. أخبار تعيد نفسها .. ملل .. ملل .. ملل .. أغلقته سريعا و عادت لسريرها .. أخرجت الرواية من أسفل الوسادة .. “اليزابيث كوستلو” لـ “كوتسي” .. أول عشرين صفحة .. تبدو ممتعة وتحمل طابع فلسفي مثير .. تتذكر أنها اشتريتها لهذا السبب .. لأنها تريد مؤخرا أن تدرس الفلسفة .. وكل ما يخيفها أن تصبح فتاة منبوذة يكرهها أصدقائها لأنها صارت تفلسف كل الأشياء وترى الحياة من خلف نظارتها السمكية ذات الحواف السوداء .. وتنطق في حديثها كلمات صعبة و دمها ثقيل كـ “الدنكوشوتية والأبيقورية والرواقية واليوتوبيا والبراجماتية والايغوسنترية ..” وتتحدث عن فرويد وسارتر ومانويل كانت و كولهر .. تطمئن نفسها أنها ستجعل كل هذا سرا .. وأنها ستدرسها فقط لتفهم العالم والحياة ونفسها ولن تخبر أحد .. لازالت تقرأ الرواية والليل الشيخ يكاد يصل إلى المسجد المجاور ليؤذن الفجر .. ربما نسي عصاه هناك عقب صلاة العشاء .. ستدعو كثيرا أن يجدها .. لأنها تعبت من إسناده كي يمشي أسرع دون فائدة ... ستستريح قليلا .. ربما تنام !

قلبي طائرة ورقية تحلق من شجرة البرتقال حتى كوكب الزهرة !

يبدو أن التفكير في السعادة .. يجذبها ويجعلها تأتي على عجل .. هذا لأنني فتحت صفحة فارغة لأكتب عن مساء أمس والسعادة التي كانت تغمرني تماما .. ولم أكد أهم بأن أفعل حتى جاءني مسج من أحمد يخبرني أنه يحبني .. سعدت جدا .. وقررت أن أكتب عن اليوم بدلا من أمس وعن قلبي الذي دق سريعا وارتيك في الدق .. لأنه فرح فجأة .. بدلا من تباطؤه في الدق أمس لأنه كان مطمئن جدا ويشعر بأمان يكفيه عمر ... كنت أصنع فنجانا من الشاي بالنعناع لنفسي فرأيتني أمي وطلبت أن أجعلهم اثنين .. وبعدما فعلت وضعتهم فوق الصينية وخرجت أبحث عن أمي .. وجدتها بالجينة أسفل المنزل .. فجلست على السلم الصغير المؤدي لها ووضعت الصينية بجانبني وانتظرتها تأتي .. أمي تتادي عليّ لأذهب عندها .. أخذت الشاي وجلسنا معا أسفل شجرة برتقال بجوار النعناع النابت في الأرض نحتسي الشاي على مهل ونثرثر .. كانت حرارة النهار القاسية قد انخفضت .. والهواء المصنوع على شمس الظهيرة .. قد برد كثيرا بعد هذه الساعات .. كما الشاي الذي برد قليلا لأنه لم تمر عليه كل هذه الساعات بعد .. الهواء يتغلغل شعري ورنتي وروحي .. ويملأني أنا و أمي .. أسندت رأسي على كتفها .. ضحكنا على أشياء كثيرة لم أعد أذكرها .. راقبنا الصبيين الواقفين أمامنا بمسافة طويلة عند نهاية البراح .. يمسان بطائرة ورقية .. والطائرة عالية جدا جدا .. وتحلق بمهارة يمامة .. أخبرت أمي أنني أغار منهما .. وأني طوال طفولتي كنت أحلم بطائرة تطير على هذا العلو .. ورغم أنني اشتريت طائرات ورقية كثيرة من البائعين على شاطئ البحر في أيام المصيف .. إلا أنني فشلت دائما في جعلها تطير وتحلق .. حتى أبي كان يعجز عن تطييرها .. وكان يرجع السبب دائما في أنها مثقوبة .. لهذا يمر من خلالها الهواء وتسقط .. أمي قالت أن أصلا هذين الولدين لو رأهما أبي الآن سيغضب وسيطردهما لأنها يعبثان فوق الأرض المحروثة .. قالت أنها تستطيع أن تذهب هي وتطردهما وتعاقبهما بأن تأت لي بالطائرة .. ضحكت وأنا أعرف أنها حتى ولو فعلت فستكون هذه الطائرة اليمامة في أيديهم .. نعمة في يدي .. وستنتقّب بمجرد أن ألمسها ويتخللها الهواء ولا تطير ! .. أمي تقول فجأة : "فاكرة لما كنت بغنيك وانت صغيرة ..: يلا يا سمارا هنطير طائرة .. ونروح الجينة ونشبك إيدينا !" أضحك مرة أخرى وأنا أتذكر هذه الأغنية بعد أن نسيته سنوات طويلة جدا ولم تأت برأسي مرة واحدة .. تذكرتها غابرة في الأول .. ثم اتضحت الذكرى حتى شعرت أن هذا كان أمس .. أو منذ دقائق قليلة .. أو يحدث للتو ! .. أذان المغرب يرتفع .. والليل يشرق والفناجين تفرغ .. ونواصل الجلوس قليلا ونحن نقطف الأعشاب الضارة التي تحيط بالنعناع .. ونضعها في كيس .. ونلقي بها في الخارج .. الليل يكتمل وجوده .. أصعد لأعلى .. وفي الشرفة أنظر ناحية الغرب وأرى كوكب الزهرة ساطع جدا ... أتذكر أحمد فور أن أراه .. وأبعث له بمسج .. ولا أدري السر في هذا .. لا أعرف لماذا يذكرني كوكب الزهرة بأحمد كل مساء .. هذا الكوكب يمسكني من قلبي .. و يجعلني أكمل الصفحة .. لأنها بدأت بـ " بحبك " من أحمد .. وستنتهي بـ " وأنا كمان بحبك " مني وهكذا يكون الكمال!

أسباب وجيهة للحب !

كانت الأرض مصابة بالحمى هذا النهار ومثيرة للشفقة لأنها في أشد الحاجة لكمادات مياه باردة وخافض للحرارة ورعاية مكثفة لم يفكر أحد من أبنائها أن يوليها إياها ومضوا جميعا يلعنون حرارتها وسقمها دون أن يخطر ببالهم مساعدتها .. بينما أنا كنت أمر في طريقي علي صيدليات كثيرة وأفكر : ماذا لو دخلتهم جميعا وطلبت إخراج الأدوية الشراب الخافضة للحرارة وسكبها على الأرض و غرس الأقراص في التربة .. فهل سيتكاتف أحد معي؟ .. مشيت وأنا أشعري أنعرض للشواء ولا أطيق هذا الحر وأتمتم في سري : "لا بأس عليك ِ أيتها الأرض المسكينة .. أنا أشعر بك". ..في طريق عودتي كنت أضحك ضحكات مكتومة بيني وبين نفسي وأنا أتذكر لقطات تناولتي للغداء مع صديقات أخرج معهن للمرة الأولى .. كان وقتا ممتعا و سعيدا ومجنونا وتملؤه الضحكات حتى الدموع ... وسريعا نسيت الأرض ومرضاها وتضامني المفروض علي بالقوة .. وأحسست أنني ممثلة بالحرب كسماء تمتلئ بالسحب ..فكرت في اليوم كحياة منفصلة عن حياتي السابقة .. وأخذت أعد على أصابعي : أحب أمي لأنها أعدت لي فطوري سريعا عندما استيقظت وأصرت على أن أتناوله قبل أي شيء وكل شيء .. أحب أسماء أختي لأنها جاءت بجانبني برفق في السابعة والنصف صباحا تسألني : "الساعة سبعة ونص .. عاوزة تصحي امتي؟" قلت في نعاس : "تسعة ونص" ..فخرجت بهدوء وأخذت هاتفي الفاصل شحن ووضعته في الكهرباء" ..أحب أحمد لأنه حين هاتفني في الواحدة قال "حبيبتي" بسعادة .. وسمعتها مختلفة جدا وأحببته لأجلها ..أحب عادة لأنها بغض النظر عن كونها الفتاة الأروع على الإطلاق إلا أنها كانت على حق فيما أخبرتني به سابقا وكنت أنا أخالفها بحمق .. أحب أسماء لأنها كانت جميلة جدا هذا النهار .. ولون الطرحة الزهري والفيست المنقوش بالورود ..جعلها تشبه نسمة خفيفة في هذا الصيف .. أحب علا لأنني شعرت فور أن رأيته شعور غير محدد لكنه سعيد ..أحب وفاء لأنها أعطتني لب خشب ..أعرفه للمرة الأولى ..وشعرت وأنا أتناوله أنني منقار الخشب وأنني في الليل سيتحول جذعي إلى جذع شجرة ..كنت أقشره وأنا أتذكر ابن عم صديقتي أمل في المدرسة .. كنت أراه دوما دوما بكيس لب في يده وقشرة لب ملتصقة بشفته السفلى .. ولم أكن أعرف كيف بإمكانه أن يثبتها هكذا بعفوية دون أن تسقط ..وهذا الأمر عذبي لوقت طويل .. وجعلني أذهب كل نهار بعد خروجي من المدرسة لأشتري لب و أقشره بصورة طبيعية ثم أحسس شفتي فلا أجد القشرة .. فأخذ واحدة وأبللها ثم أضعتها بحرص شديد على شفتي السفلى .. وبعد محاولات كثيرة صعبة ومكلفة أنفقت عليها مصروفي اليومي نجحت أخيرا .. ولم أعد بعدها لشراء اللب ولا للنظر لهذا الصبي على أنه خارق !... أصل لإصبعي الثامن في العد وأقول ..أحب هبة لأنها شربت البيبسي دون مبالاة بعد تعليقي المقرف أنا و وفاء .. هذا إلى جانب أنها فتاة عفوية وقادرة على الدهشة كطفلة .. أحب مي لأن لون أحمر الشفاه كان ممتزجا مع لون الطرحة بشكل جميل جدا ورائع .. أحب هايدي لأنها قالت أنها تعرفني منذ سنوات كنت فيها "سامنتا" .. وأنها لم تتخيلني بهذا الشكل .. أحببت أنها حاولت أن تشرح هذا ولم تستطع لكنني كنت أفهم .. تقول أنني أكتب بطريقة وأعيش بطريقة .. قالت بالضبط : "بتركزي في الكتابة ..وبتضييعي في الحياة " .. تذكرت لحظتها النهار الذي جلسته بأكمله لأفكر كيف يكون شكل الشاعر .. وكنت اتخيل الشاعر كائن خرافي .. لا علاقة له

بالحياة التي نحيها .. وربما علاقته بها مختلفة تماما .. ويراهها بشكل مختلف .. وعانيت هذا حرفيا .. بما يعني أنه يرى النساء الجميلات أه متكررة .. ويرى الرياح بيت شعر ويرى المربع و الدائرة سجن والمستقيم قوس كمنجة و البحر سماء مقلوبة .. والسماء بحر عائد الجاذبية وارتفع ... وحين حدث ورأيت شاعرا وجدته انسانا طبيعيا جدا لا يختلف عن بائع السوبر ماركت .. وأحببت هايدي جدا .. ثم لويت شفتي لأنني لم أجد اصبع حادي عشر لكنني أكملت أحب داليا لأن لها نظرة طفل على وشك البكاء ..بها شيئا ما يشبهني لا أعرفه .. ربما الأخضر في عينيها الذي يجعلها ترى الوجود بلون العشب الصغير النابت في قلبها .. أحب أبي لأنه قال حين وصلت المنزل :”مكلمتنيش ليه آجي آخذك عشان الحر ده” .. أحب أمي مرة أخرى دون سبب واضح .. أحب عامل الزجاج الذي رأيته يحمل لوحا زجاجيا وكاد أن يسقط منه فارتجف وانتقلت رجفته إليّ ..فشعرت لحظتها أنني كائن حي جدا ! ..أحب بائع الجرائد على الرصيف الذي رأيته من شباك سيارة الأجرة حين كنت شاردة وأحرق فيه دون أن أراه .. فقرب يده من وجهي وأصدر صوتا ليفزعني .. وانفزع فتعلا و رأيته ... وتعجبت بعدها كيف عرف هذا الشخص أنني أغرق في أشياء سيئة وتعيسة ليحيى وينقذني منها ... أحب الله لأنه منحني خمس دقائق إضافية ألحق فيها صلاة الظهر ففرحت جدا .. أحب الله لأسباب واضحة وخفية لا تعد ولا تحصى .. أحب الله لأنه قال لي “كوني” ... فكنت ... أحب الأرض لأنها ثابتة جدا تحت قدمي وتحملني بكل هذه الأسباب الوجيهة للحب ... لهذا سأدعو لها بإخلاص شديد أن تُشفى سريعا !

ثمان ساعات في الأسكندرية !

لثمان ساعات متواصلة لم تترك يدي ذراع أبي .. عشت الأمان بكامل صورته وأنا سعيدة بأمنية تمنيتها في الصباح وتحققت في المساء .. بعلامات كثيرة على الدرب تجعلني أصدق أنني لن أموت قبل أن أحقق المائة أمنية.

نهار الخميس .. كتبت الأحلام وخرجت قابلت عادة .. تمشينا قليلا وأخبرتها بأمنياتي في المدونة .. وتحدثنا كثيرا حول امكانية تحقيقها ونحن واقفين في محل ظهرنا لطاولة لا ننتبه لها .. وحين انهينا حديثنا وانتبهنا وجدناها فارغة إلا من كان بببسي ماكس موضوع في منتصفها كأنه ينصت إلينا ويبتسم .. قالت عادة أن هذه علامة .. وأنا صدقتها إلى درجة لا تصدق .. ومشيت بعدها وأنا أتذكر رواية الخيميائي و العلامات إلى الكنز .. صدقت أنني سانتياغو راعي الأغنام الذي سيصل إلى كنزه في النهاية لأنه فقط تتبع قلبه والعلامات .. كنت أفكر في كل هذا وأنا أقطع تذكرة إلى الأسكندرية وأركب أتوبيس الساعة الثالثة .. ذاهبة لأبي .. بنية الإقتراب منه أكثر ..لم أكن أفكر على الإطلاق في نزهة رائعة كما قال اخوتي وأحمد .. كنت أريد فقط أن أمضي يوم بصحبة أبي .. أنا وهو فقط ...في الأتوبيس يجلس ورائي امرأة وطفلة في الخامسة تقريبا وطفل يصغرها بعامين أو أكثر اسمه أحمد .. الطفلة تسأله طوال الطريق بإلحاح .”بتحبني يا أحمد ؟ بتحبني يا أحمد؟” بكلمات غير مفهومة يقول لا ..فتواصل بنفس الإلحاح :”طب أعمل إيه عشان تحبني ؟ ..أسمع كلامك يا أحمد ..أسمع كلامك يا أحمد؟ ..ولا

أفضل أقول أحمد من دلوقتي لحد ما نوصل ؟” واندفعت تقول أحمد دون أن تستريح وتلتقط أنفاسها لحظة :”أحمد .. أحمد .. أحمد .. أحمد ” كنت أضحك عليها وأتمم “مسكينة مثلي تحب أحمد !” .. أحمد يتركها وينام .. بإزعاج تعلي من صوتها :”متنامش يا أحمد وتسيبيني .. اصحى كلمني .. اصحى اصحى اصحى ” .. تعجبت وضحكت لهذا التشابه الغير محتمل بيني وبينها .. هذا لأنني أفعل هذا مع أحمد كل سفر .. حدث هذا من يوم واحد فقط .. في نهار الثلاثاء .. حين أراد أن ينام في القطار وأزعجته وأيقظته ليقول لي :”أنا فاكرك .. انتي بتاعة كل مرة” .. التفت ورائي أنظر للفتاة وأنا أتيقن من أن الزمن يشبه دائرة كما قال ماركيز وأنا حين أموت ستكون هناك فتاة أخرى تقوم بدوري الذي أخذته أنا من فتاة تشبهني رحلت من زمن!

وصلت في الخامسة تقريبا .. أبي يفتح لي الباب بسعادة و “حمدالله ع السلامة” .. أستلقي للراحة قليلا .. بعدها نصلي العصر ثم أعلق يدي في ذراع أبي ونخرج معا .. نثرثر ونضحك كثيرا .. أكتشف أنني التي وضعت الحدود المكهربة بيني وبين أبي في السنوات الماضية .. و أن أبي التقط يدي فور أن مددتها .. فكرت أن أمي قد تكون السبب في هذا .. دون قصد منها بالطبع .. وبقصد مني أنا .. هذا لأن علاقتي بها قوية ورائعة وكنت أتعامل مع أبي من خلالها .. كل طلباتي كنت أقولها لأمي لتنتقلها إلى أبي .. أكتفي بحنانها ولا أربأ بأي شعور زائد .. ظننت أنني هكذا سعيدة حتى اكتشفت ألوانا أخرى للسعادة برفقة أبي .. هو لا يدري كيف يجعلني أستمع .. فيقرر أن يفعل كل شيء .. يحدثني في أموري التافهة وأموره الجادة .. يمر على كل المحلات يريدني أن أشتري من كل شيء شيء .. حتى حين دخلنا محل المفاتيح لنسح مفتاح انكسر .. تفحص المكان من أجل أي شيء يستطيع أن يجلبه لي .. رأى في العرض سلاسل كثيرة .. فقال:”أجبلك سلسلة لمفاتيحك” .. وحين أوشك أن ياتي بواحدة مسكت يده وأنا أصبح بضحكة “بابا .. استنى .. مكتوب “سلاسل كلب” !” .. ضحك وضحكت وسكت هو سريعا بينما أنا واصلت ضحكي في الداخل ... ذهبنا لتناول الغداء .. ساندويتشات برجر وسفن آب لي وبيبسي له .. أخذناهم وتوجهنا إلى الكورنيش والبحر .. أنا كعادتي أسقط كاتشب وسفن على ملابسي .. أرتبك وأبحث عن منديل في الحقيبة .. فأتقاجيء بأبي يخرج منديله بسرعة ويمسح ما أسقطه برفق .. لم أتوقع هذا .. وتذكرت حينما كنت طفلة صغيرة لا تفارق أبيها .. وكان يفعل هذا دائما .. عدت هذه الطفلة لهذا اليوم .. وازداد هذا الشعور حين تملكني الانهاك والتعب والسهر في نهاية اليوم وكدت أنام على نفسي .. أحسست أن أبي يود أن يحملني حتى سريري ... كنت متعبة إلى أقصى حد بعد أن تمشينا من الابراهيمية حتى محطة الرمل .. كنت أنظر للسماء بين الحين والآخر أفتش عن كوكب الزهرة .. لم أجده في البداية .. وتذكرت أحمد وهو يقول في كل مرة أريه له أنه لا يشاهده إلا من شرفتنا .. كدت أصدق هذا حتى وجدته في النهاية باهتا ولا يسطع كوكب الزهرة عندنا .. فكرت أنه يبهت في البعد .. مشيت وأنا رافعة رأسي أنظر إليه .. اندهشت جدا وسقطت شفتي السفلى حين جاءت طائرة ورقية يطيرها صبي على الشاطئ و وارته تماما .. للحظة آمنت أن هذه الطائرة هي قلبي الذي يشب ليرتفع قليلا فيقارب الكوكب الباهت .. ليسطع قليلا أكثر .. لم أكن أتخيل و أدعي هذا .. كنت أصدقه بكل قواي .. حدث هذا للحظة واحدة خفت على نفسي بعدها من الكتابة .. كررت في سري :”قلبي في صدري .. والطائرة لصبي على الشاطئ .. قلبي في صدري .. والطائرة لصبي على الشاطئ” .. هزرت رأسي لتسقط كل الأفكار الغبية التي تشبه عنكبوت يلف عقلي بخيوطه ويكاد يلتهمه .. فكرت بعقل :كوكب الزهرة باهت لأجل أنوار المدينة المشتعلة في السماء ..

فرحت لأنني الريفية التي يليق بها وبحبها ليل القرية ..حيث هناك بإمكانه أن يكبر ويسطع ..و يسكن السماء بأمان..!

أبي يقترح الذهاب لمكتبة الأسكندرية .. يعرف أنني أهوى الكتب .. نذهب هناك ونسأل فنعرف أنها تغلق في السابعة .. ندخل محل الكتب المجاور .. اتصفح العناوين سريعا ونغادر .. نصل لمحطة الرمل ...أتجاهل بسعادة محلات الملابس .. وأذهب مع أبي ناحية محلات الأجهزة والأدوات ..أحب هذه الأشياء جدا من صغري .. وحين كبرت ..صار مفروضا عليّ ان أذهب مع أختي تجاه محلات الملابس التي لا أكره أكثر منها ..أكره البائعات حين ينطقن حال أن أدخل "بتدوري على حاجة معينة" ..أكره البروفات والمشاجب والملابس المعلقة ..أكره الانتظار أمام البروفا من أجل قياس بلوزة لا تعجبني لكنها تعجب أمي وأختي ..أكره كل ما يتعلق بهذه المحلات .. لهذا كنت في غاية السعادة حين دخلنا كل محلات الأجهزة نبحت عن "mp5 ك هدية لأمي أبي يصمم على شرائها .. نبحت عن واحد ياباني ..والمحلات زاخرة بالصيني ..أبي يشتري راديو لنفسه ..ويسخر قائلا: "الناس بتتقدم وأنا برجع ورا" ..أخبره أن الراديو هذا مزاج .. وطعم الاستماع إليه أشهى ألف مرة من الآي بود والام بي فايف وكل هذه الأشياء .. وأنا أشارك مع أبي في هذا المزاج .. من فترة كنت لا أستطيع النوم إلا إذا أدت راديو بجواري على الإذاعات العريقة كالشرق الأوسط والبرنامج العام وصوت العرب .. أنا مفتونة بالقديم .. ويستهويني كل ما يدل على الأصالة .. أحب الأماكن القديمة والعمارات القديمة وأحتفي بأشياءني القديمة ..وربما هذا سر ولعي بالتاريخ وبرغبتي في دراسته .. نأخذ الراديو ونجلس على الكورنيش نجربه ونجرب المحطات .. كل الترددات تأتي بالشرق الأوسط .. نزوي حواجبنا ..نغير الموجة .. والشرق الأوسط لا تغادر ك جار ثرثار مستفز ..نعود للمحل سريعا قبل أن يغلق فيقول البائع أن الإرسال سيء في الأسكندرية بأكملها .. ولو تجاوزنا حدودها ناحية العجمي مثلا فسيوضح الإرسال ..نفقنع ونغادر مرة أخرى إلى البحر .. أضع رأسي على كتف أبي ونجلس حتى الثانية صباحا نستمتع لأم كلثوم تغني: "ياترى يا واحشني بتفكر في إيه .. عامل إيه الشوق معاك عامل إيه فيك الحنين " ..تكررها طويلا وتعيد وتزيد .. وأنا لا أفكر سوى في حجم الأمان داخل قلب أبي وأنني لا أريد أن أغادر هذا القلب !

أنا ساحرة شريرة !

كنت في الحلم ساحرة بقوى خارقة .. أنظر لمن يضايقني بغضب فيطير للوراء ولأعلى باندفاع غير مرئي صوب وسطه .. رجليه وذراعيه مفرودتان إلى الأمام يود التشبث بالهواء قبل أن يذهب إلى السماء مباشرة و يسهل على ملائكة الموت قطع كل هذه المسافة بين السماء والأرض لقطف روحه .. لم اكن ساحرة شريرة لكنني كنت قادرة على الإيذاء لحظة الغضب .. استيقظت من الحلم بإبتسامة مثل أن شخصا أعطاني قطعة حلوى وتذكرته الآن حين احتجت لأن أكون هذه الساحرة لهذه اللحظة .. كنت أفتح الهوم على الفيس بوك .. ووجدت أشخاص نفذ صبري عليهم ..عباراتهم مبتذلة وصورهم غير لائقة .. شعرت أن "remove" لا تكفي وأنني أود لم أضعهم أحياء في الآلة الضخمة التي سحقته جثة "أمو" .. وحرقتها ثم حولتها إلى تراب

في آنية حملها طفليها ومضوا بحزن هائل انتقل منهم إليّ ودكّ قلبي .دكّا .. شعرت أن هؤلاء الأشخاص هم الجديرين بالحرقة .. رغم أنهم لم يفعلوا على الإطلاق ما يستحق هذا .. هم فقط سيئين .. لكنني في غضبي متطرفة .. وإن كنت لا أقدم على فعل متطرف إلا أنني أتخيل أشياء بشعة لمن غضبت عليهم بإبتسامة مائلة دنيئة وفرح بخيالاتي كصاعقة عكسية من الأرض إلى السماء أنظر لبرقها وأفرح .. جعلني هذا أعود للحلم مرة ثالثة حين تذكرتني وأن أطيّر الناس بسحري وأبتسم .. وعرفت أنني كنت مخطئة حين فكرت دائما أن لي حياتين .. واحدة في الواقع والأخرى بالحلم .. هذا لأنني أحلم كثيرا كثيرا بصورة غير محتملة .. بمجرد أن أغمض عيني أرى أشياء كثيرة حتى وإن كنت مازالت نصف واعية .. كأن باب عيني هو منفذ العبور لحياتي الأخرى .. فكرت الآن أن ما يحدث هو فقط استكمال للواقع بمشاهد غير واقعية .. لازلت أتمنى أن أكون هذه الساحرة بعصاة في رأسها نجمة وشر بالغ !

The only place I wanna to be is lost with you

من ليلة الإثنين وهي لا تتوقف عن سماع أغنية “Early on Tuesday” .. وبما أننا الآن في صباح الأربعاء .. فجدير بها أن تفعل !..

هذه الأغنية لكما .. أعني لها وحدها .. لأنك لم تسمعها بعد .. لكنها منذ وقت طويل تسمعها كل ثلاثاء .. كل سفر .. وهي لا تعرف هل يجب أن تحب الثلاثاء .. أم تكرهه .. لأنك تسافر في واحد وتأتي في الآخر .. ونهار سفرك لا يتبق معها شيء سوى هذه الأغنية .. أنت تضع منها في هذا اليوم .. وتضع الأماكن معك .. وتبقى وحدها تنتظر الثلاثاء القادم وتعد الأيام إليه بطريقة مثيرة للشفقة .. عرفت أن هذا سيحدث منذ أن كتبت في الماضي حين سافرت “يوم فارغ كصحرا” .. رغم أنها لم تكن تعرفك جيدا بعد .. ولم يخطر ببالها يومها أنك ستكون كل العمر .. وجودك كان يسعدها فقط .. بطريقة بسيطة وسهلة و واضحة ولا تدعو للشك بأن كلاكما يطمع في أكثر من هذا الفرع الصغير.

الآن أنت بعيد .. وكثيرا ما تنساها في البعد .. وهذا يثير غيظها .. ويدفعها بخيبة إلى التفكير كطفل داعبه أخيه الأكبر قائلا : “نحن وجدناك على عتبة مسجد” .. فيلتهم الشك رأسه .. ويفسر بغباء كل تصرف تافه من والديه بأنه ابن الشارع حتما .. وبأن هذين الشخصين الملقبين بأباه وأمه لا يحبانه حقا .. يشفق على نفسه ويسخط من كل العالم حوله .. ورغم يقينها من أنها قطعة من قلبك إلا أنها تكون هذا الطفل التعيس الأحمق حين يتوراى ظلك وتسقط من تفكيرك سهوا .. تغرورق عينيها .. تنتشر في البحر .. يحفها الليل وصدى الموج .. يعثرها الألم لعودتها إلى السقف القاحل منتوفة الريش .. ترهبها حين تلقىها ليل ونحيب النجوم المحترقة وتذكر كل الأشياء إلا هي بينما هي تفقد ذاكرتها إلا إياك .. تفكر بحيرة كيف تكون معها وتحتويها فلا يراها أحد ولا تر سواك .. تنطق “حبيبتي” وتنظر إليها بطريقة تجعلها ترجوك كل مرة : “توقف” .. لكنك لا تفعل .. فتغض هي بصرها في خفقان قلبها المسموع .. نحن نفعل ذلك حين نعلم أن الجمال أمانا فاره و باهر .. وأمر متابعتنا التحديق قد يؤدي لموت وشيك .. فالسكاتات القلبية هي

الأقرب للصدر المغرم_ كيف يكون كل هذا وتستطيع أن تنساها فور أن تدير ظهرك وتبتعد قليلا ..تتركها للجلوس في الشرفة بمسند خلف ظهرها وتحديق مقداره أكثر من ساعتين في كوكب الزهرة..تفكر .. حين تقترب منها ..أخبرتني أن السر يكمن أحيانا في أصوات الاقتراب .. الأكمام .. احتكاك القماش بالجلد ..ذراعك حولها ..صوت ساعدك الثابت ..وبعدها لونها على لونها ..ياه؟ ..أنى للإختلاف بينكما أن يختلط معا في إنسياب ..يرتد رأسها للخلف ..ينكشف جبينها قليلا ..وتستطيع لحظتها أن ترى ذقنها المرتفع ..إنها تنتظر لقامتك في خيالها ..وأنت مطوق إياها .. محيطا بجسدها ..محكما من شد قلبها لصدرك ..فبيهت نبضها .. وحين يصير ذلك فلأنها تحبك أكثر ..فوهن القلوب لا يحدث إلا حين يقترب عشاقنا منا .. تفكر في الأيام التي تمضي دونك .. تربطها بفتلة في الأيام التي تحويك ..أمس مثلا حين ذهبت إلى المرور لاستخراج بدل فاقد لرخصتها .. تذكرت رأسها الملقى على كتفك الأيسر في قاعة السينما ..لأن اللقطات كانت تحكي عن الروتين في بلد يشبه العسل الأسود .. وكانت هي تعيش الروتين بكامل صورته .. في النهاية رأيتك تضحك على صورتها البشعة في الرخصة الجديدة .. شعرت أنها تتلاشى من كل هذا وتفكر فقط في رأسها وكتفك والضحك الكثير الذي ملأكما وقتها ..تمضي على الأماكن التي مررتما بها .. تراكما ..لازلتما تضحكان وتتحدثان ..وكلما عبرتما بمكان مالت أغصان الأشجار تجاهكما ..تعيش أسبوع على تفاصيل أسبوع ..وتشتاقك ... تتوقف عن الاستماع إلى الأغنية .. لكنها تمشي وهي تدندن بفقد :

The only place I wanna to be is lost with you

Yes ,The only place I wanna to be is lost with you

قلبي ومشابك الشعر !

أول أول ما أفعله عند اقترابي من باب المنزل هو نزع الدبابيس من الطرحة لأخلعها فور تجاوزى لعبتة البيت .. ومن ثم أحل عقدة شعري وأطلق سراحه حتى صباح آخر .

لم أنعود أبدا على مشابك الشعر ..كانت في طفولتي أكثر شيء يبكيني رغم ألوانها وأشكالها الكثيرة التي تشبه قلوب الصغار ولعبهم .. والتي حرصت أُمي دائما على شرائها بشكل كل الأشياء التي أحبها لتغويني بارتدائها كفراولة كنت أقفل في التهامها وأحزن و نجوم كانت تلمع وتضيء بطريقة جعلتني أكرهها لأن أُمي نسيت أن شعري وقتها لم يكن الليل وأن الشمس تشرق في خصلاته وتسطع وأن هذه النجوم لا تناسبني كثيرا... بالإضافة لطيور صغيرة فاردة جناحيها تأمل أن تطير من رأسي سريعا وفي منقارها عدة شعرات توزعها على أعشاش الطيور الفقيرة التي لا تملك سوى القش .

كل هذه الحيل لم تفلح يوما في جعلي أرغب بهذه القيود وأفرح بها ..وأفهم الآن أن اختلافي عن اخوتي كان في حلي لعقدة شعري كرجبة في التعبير عن حريتي ..وإن شَبَّهني أبي دائما بالعجر .. فلا يهم ..وإن اصطنعت الغضب من هذا التشبيه فأنا سعيدة به في سري لأنني أتذكر

حكايات العجر التي أحببتها كثيرا في قرية موكاندو وأحلم بانضمامي لسيركهم الذي ينتقل بين البلاد يحتفل بالحياة ويسعد الصغار والكبار ويمضي ..!

أكتب هذا كله الآن _ في السادسة والنصف صباحا على التحديد _ لأنني انتبهت منذ قليل بالمصادفة أنني تجاوزت عتبة المنزل مما يزيد عن ١٥ ساعة ولازال شعري معقودا .. لم أندesh وأتساءل : "كيف نسيت أن أحله؟!" لأن سؤالا آخر يطاردني بإلحاح : "هل لهذا علاقة بشعوري منذ أمس أن هناك حبل ملفوف حول قلبي يعتصره ببطء ليخرج الدم منه قطرات ضئيلة لا تكفي للنبض فأجلس بوهن في ركن الغرفة عاجزة عن الانضمام لاحتفالات الحياة مع جماعات العجر؟!"

سأسميك الفرح .. الفرح !*

طوال النهار وأنا أحاول أن أحصي قطرات الفرح التي غمرتني بها في أيام قليلة.. حتى شعرت أن العطش/الحزن لن يقاربني مرة أخرى وبأنني ارتويت إلى الأبد.. كأنني شربت شربة لا أظما/أحزن بعدها أبدا.. كنت أتساءل: هل بالجنة نهر اسمه الفرح؟ .. لو كان .. لكنت صدقت أن الله يسكبه في قلبك .. كي تأتي إليّ و تقطره على قلبي .. قطرة .. قطرة .. وكل قطرة تغمرني كشلال يدفعني إلى حيث تيارات الفرح .. لأكون جزءا من معجزة أبدية .. تبدأ في السماء .. وتنتهي في قلبي !

معجزة لم تحدث قبل الآن لأن كلانا كان ينطق السحر بطريقة خاطئة !

معجزة اكتمال البدايات بنهاياتها حين تكون أنت السماء وأنا الأرض .. أنت المطر وأنا العشب .. أنت النهر وأنا المصب .. أنت النجمة وأنا الضوء .. أنت الرياح وأنا الشراع .. أنت البوصلة وأنا الجهات .. أنت الجناحان وأنا الجسد ..!

معجزة صغيرة جدا بحجم الفراغات بين أصابعي حين تشغلها أصابعك !

لو مت الآن فسأكون راضية تماما عني .. لأنني أخيرا عشت !

* عنوان قصيدة لغادة السمان

بتعبي أتجول ... ولا أبيع شيئا !

ستكون جملة ساذجة جدا لو قلت "يبدو أن هناك شيئا ما في الهواء أو الماء يجعلنا نرهب سريعا" .. لأن كل الأصدقاء يحدثونني عن تعبهم والصداع الذي يفتك برأسهم عقب أي جهد تافه .. رغم أنهم كانوا أكثر احتمالا وقوة في السابق .. لا أحد يعرف سبب محدد لهذا التعب .. أو سبب

يمكننا تعميمه علينا جميعا .. صديقة تفكر أن الصداق قد يرجع لعملية "الليزك" التي أجرتها مؤخرا .. وصديق رياضي يفكر بأن أصدقاءه الغير رياضيين لا يتعبون سريعا مثله رغم أن العكس يجب أن يكون الصحيح .. أخرى تقول بيقين أن السبب هو تغذيتها غير السليمة والريجيم الذي تقسو به على نفسها .. وآخر يردد أن مناعته الضعيفة تمكن أصغر الميكروبات من النيل منه ليشعر بتعب غير مبرر طوال الوقت .. وأنا أعرف أن مناعته لا دخل لها بالأمر لأنها صامدة منذ عمر .. وآخرون يكتفون بأن يقولوا أنهم لا يعرفون سبب محدد لاجهادهم .. أما عني فأول ما سأقوله وأحدث عنه .. هو خصامي الكبير مع النوم الطويل .. ولم يتمكن أي تعب حتى الآن مهما كان أن يصلحني معه .. كلنا متعبون بكل ما في الكلمة من انهاك وارهاق وتراخي .. وأنا لا أبحث عن سبب لأنني أشعر أن التفكير صار شيئا صعبا على رأسي .. وأردد بسذاجة كـ بائع متجول : "يبدو أن هناك شيئا ما في الهواء أو الماء يجعلنا نرهب سريعا " .. أشعر بحجم قلبي يتقلص كثيرا .. ربما يضرر لقلة الاستخدام .. أو يتآكل من سوء الاستخدام .. والدم الذي يضخه في جسدي لا يكفيني أبدا فأشرب كميات كبيرة من عصير الرمان على سبيل التعويض وأسكّر جدا ليعادل دمي الذي صار مالحاً نتيجة لتضائل حجمه فأصبح مركزا ولزجا ويمشي في عروقي كـ كهل بدين مصاب بروماتيزم في المفاصل .. ويبدو أننا نهزم حين نصل لهذه النقطة بالذات .. فنفكر في المستقبل بتعب ونفس منقطع وحنين كبير لكل ما فات .. لهذا أنا أشرب عصير الرمان وأحاول أن أعيد الشباب لدمي وأحليّه لأنني أريد أن أفكر في الماضي وكأنه حدث للتو .. والحاضر كأنه سيستمر بلا بداية أو نهاية .. بيقين أنني سأفلح في محاولتي هذه .. وإن كنت فشلت هذا الصباح فسأعتبر فشلي هذا كان محاولة في المحاولة .. لأنني كنت أجلس في الراوند وأنا أفكر في أشياء مبهجة سعيدة أود أن أفعلها فور خروجي من باب القاعة .. تهيأت لضحكات كثيرة ينثني معها جذعي إلى الخلف فتندلق الكولا من يدي أو حين أضع بها قطعتين من "النعناع" .. فتقووووور وتقووووور وتنسكب عليّ و على ملابسي قبل أن أكون انتبهت لفورانها .. لأنني في كل مرة لا أفعل .. فأمد ذراعي للأمام لأبعدها عني حتى تهدأ الصودا وتستكين ثم أشربها بلذة كبيرة .. تهيأت لأحضان طويلة أغمر بها صديقة لم أرها منذ أن بدأت الدراسة وكلمات تشبه : "وحشتيني .. مالك احلوتي بزيادة ... إياكي تغيبني ثاني " .. لأنني لازلت حزينه من المشادة التي نشبت أمس بيني وبين إيمان فور أن رأينا بعضنا رغم أنني كنت أستاذ للقاءها بشوق كبير وحنين لأنني لم أقابلها مما يقارب الشهر .. من ٢٦ يوما بالتحديد .. وعلى الرغم أننا تصالحنا سريعا .. لم نقل " كلاكيت ثاني مرة " .. ونحاول جمع الشوق الذي تبعث .. في حضن .. فكرت بكل هذا وأكثر وأنا جالسة في الراوند أستمع للدكتور الذي يشرح بحوية مختلفة عن كل الدكاترة الآخرين الذين أشعر أن ما يقولونه مجرد تعويضات وهمهمات في عملية تنويم مغناطيسي لكل الطلبة الجالسين أمامهم .. وربما أكون استمديت حوية تفكيري من شرحة الحيوي .. لكنني بعد الراوند حين التقيت أصدقائي عقب جولة سريعة في الهواء وزجاجة ماء صغيرة .. جلست في المقعد الخلفي في سيارة إحدانا فوجدتني أتهاوى عليه .. ولا أعرف كم مضى من الوقت حتى استجمعت قواي وغادرت إلى منزلي بكلمات قليلة تقتصر على : " أنا مروّحة .. أشوفكم بكرة .. باي باي " .. ومضيت وأنا أتخيل التعب الذي سألقيه على سريري بإهمال ثم أجلس على الكرسي المجاور له أشرب عصير الرمان و أقول : "يبدو أن هناك شيئا ما في الهواء أو الماء يجعلنا نرهب سريعا !"

دعاء و "....." !

الراوند الأول هذا العام كان " نفسية وعصبية" ..الدكتور يتحدث عن أمراض نفسية كثيرة ..وأنا أتابعه بشغف وصحيان كبير ..و خرجت من الراوند وأنا أفكر بضيق: " لماذا نسي أن يتحدث عن دكتور جيكل ومستر هايد ؟" .. كلمة الطب النفسي لدي مرتبطة كليا بهذه الحالة الغريبة وأتخيل أن أي حالة غيرها شيء تافه عابر غير مهم ..فكرت أن مستر هايد سيأتيه ليلا .. وبضربة واحدة سيوقعه على الأرض و ينهال عليه بعصاه حتى يفقده الوعي تماما ثم يقطع رأسه ويضعها بجواره .. وأخيرا يركله بقدمه ليتأكد أنه أنجز مهمته بنجاح ..وذنب الطبيب الوحيد أنه نسي أن يذكر اسمه في محاضرة ..وهذا سبب وجيه وقوي جدا بالنسبة لمستر هايد لأنه يقتل دون أسباب في الأصل .. أما دكتور جيكل سيكون في نفس الوقت بجوار مدفأته يحرق هدوءه و طبيبته .. ولا يشغل رأسه شيء . الجميع ينفي وجود هذه الحالة في الواقع .. فهل يجب أن أصدق أنها خيال اخترعه كاتب المغامرة : "ستيفنسون" في القرن قبل الماضي ..و اجتهد الأدباء ومخرجين السينما بعده في اعادة تخيلها كل بطريقته .. وفي خلال ثمانون عاما هناك خمسة أفلام بعنوان : "the strange case of Dr.jekyll and Mr.Hyde" آخرها أنتج في "٢٠٠٨" ..هذا بالاضافة إلى روايات كثيرة أخرى مثل " بئر الحرمان" لاحسان عبد القدوس في شخصية ناهد ونقيضتها ميرفت .. و"كلب الموت" لأجاثا كريستي .. وغيرها وغيرها ... الغريب جدا في الأمر والذي لا أستطيع ان أستوعبه حتى هذه اللحظة ...أنني يوم رجعت من الجامعة ورأسي مشغولة بهذا الأمر شاهدت ليلتها فيلم "hide and seek" عن ديفيد ونقيضه " تشارلي" ..و حين أدت التليفزيون في اليوم التالي ..تفاجأت بنفس الفيلم مرة أخرى !!!! ..ومصادفة مشاهدتي لهذا الفيلم في هذا الوقت بالذات ولمرتتين متتاليتين يصعب علي تصديقها أو تجاهلها ..أو حتى التفكير في مغزى لها .. كل ما استطعت التوصل إليه ..أو ربما لم أتوصل إليه لأنه كان يقينا عندي منذ البداية ..أن هذه الحالة ليست غريبة أبدا ... ليست غريبة على الإطلاق .. لأن في الأساس كلنا " دكتور جيكل ومستر هايد " ...و لكن بدرجات متفاوتة !

ثقوب سوداء !

أجلس بوجوم أمام الشاشة ..لا أفعل شيء محدد .. أراقب الأصدقاء على "الفيس بوك" ..هناك من يلعب ..وهناك من يتسلى باختبارات هذا الموقع التي لا تنتهي أشعر أنه حقل تنجيم أو بيت عرّافة تجهل شكل الخطوط في الكف ...ومكان الودع على الرمل...ولا تفرق بقايا القهوة من بقايا الشاي ..دائما ما نظرت لهذه الاختبارات بامتعاض ولوي شفة ..ربما تكون مسلية لكثيرين لكنها لا تسليني أبدا ..أما عن بيت العرّافة الذي اهدتني لسبيله مرة واحدة حرصت بعدها أن أضل السبيل..لأنها كانت صادقة جدا حين أعطيتها قلبي لتقرأه ..فأخبرتني أنه سيء جدا ..ومليء بالثقوب السوداء التي تبتلع النجوم والضوء ..نطقت دون اهتمام "I know.."

..وخرجت من عندها وأنا أصفر ..أضع يدي في جيوبي وقلبي يضحك ساخرا ..و ينشر الخبر القديم ..!

أنا أكتب شيء ..وأفكر في شيء آخر..أفكر في افراغ قائمة الأصدقاء في الماسنجر..على الأقل تقليلها إلى ثلاثة أشخاص على الأكثر ..سأختارهم بعناية شديدة ..لأنني ضجرة جدا ..وأركل كل الاضافات بقدمي ..لا أتحدث مع أحد..وإن تحدثت يكون بفارغ صبر وكلماتي تقتصر على "آه" .."او كي" .."باي" ..وأتمنى أن أقول في كل كلمة " اسكت بقا..اسكت" ..وأتساءل لم يحتملونني ومعاملتى تنطق بكل ما أود أن أقوله..لو كنت مكانهم ..لطردتني وشفقت الباب في وجهي ..أحاديثهم بلا معنى ..هذا يتملق ..وهذه كل ما يشغل بالها لون طلاء أظافرha القادم ..وهذا يغضبني ..لأنه يريد أن يأخذ كل شيء من كل ما حوله ..ويرفض اعطائهم أى شيء بالمقابل..يستكثر حتى "الكلمة الحلوة" عليهم ..أزمة معرفة كل شخص لحقوقه جيدا ..ونكرانه لكل حقوق الغير...حانقة عليهم جميعا ولا أعرف لماذا أبقى عليهم ..ففي النهاية انا لا يربطني بهم أي شيء ...سأحذفهم جميعا بمجرد ان أنتهي من الكتابة ..كذلك الذي ضغطت على زر "delete" في منتصف جملة لأنه لا أعرف لماذا أبقى عليها...وتلك التي سألتني "أنا ليه بيتهيا لي إنك بتتكلمي غصب عنك" ..فأعطيها مثالا عظيما عن حريتي ...أستطيع أن أحذف كل شيء في حياتي الآن..وأجلس بفراغ رهيب ..لا أفعل شيء محدد....فقط أصفر !

محرومة من الضوء .. وأغرق في عتمة ظلي !

مؤشر المزاج منحدر عند الصفر أو أقل قليلا .. أزفر وأكتب فاصلة (،) ..بما يعني أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد .. لا يوجد سبب محدد لهذا الانحدار ..وربما أنا التي لا تستطيع تحديد السبب .. قيل لي مرة : إذا شعرت بضيق تجهلين سببه .. فهناك حتما شيئا صغيرا ..صغيرا جدا مر عليك هو السبب في تعكير مزاجك..قد يكون اليوم أو أمس أو حتى الأسبوع الفائت .. وكل ما عليك لتشعري بالاتساع هو أن تمشي بذاكرتك للوراء كشريط الفيديو حين تضغطي على زر الرجوع إلى الخلف لحظة بلحظة حتى تجدي السبب وتتوقفي عنده ..وهذا الاكتشاف في حد ذاته سيجلب الراحة .. لذا سأفعل هذا وأبدأ من هذه اللحظة

الآن أنا أجلس بالطابق الثاني من أجل الكتابة لأن المنزل في الأسفل يشبه السيرك ..تليفزيون عالي وأغاني عالية .. هناك من يذاكر وهناك من يتحدث في الهاتف ومن يلعب بلاي استيشن .. ومن يحادث غريبا في الشرفة .. ولا ينتبه أحد لأحد ..وما يحدث حين أنوي الكتابة في هذه الحالة وأتھيا بالجلوس أمام الشاشة .. يلتفت الكل إلي بصيحة ...:"انتي هتعملي ايه ..دا وقته؟" ..كأنني وتر خاطيء في سيمفونية جامحة .. ويتم نقلي إلى مكان معزول كسجن مثلا بتهمة تفجير بطيخة في قلب السيرك .. لا أفهم ..لكني أستسلم وكفى ... وصعودي للطابق الثاني لا يعني أنني أجلس بهدوء الآن ..لأن هناك صوت عال لموتور مياه يروي حقل أرز مجاور ..

وأصوات متداخلة لضفادع مرحة كثيرة تقفز في المياه الباردة داخل الحقل بسرور غبي .. ليتني كنت ضفدعة .. هل هذا مستحيل ؟ أحتاج فقط لقبله من أمير مسحور .. قبله واحدة سيرحب بها الأمير بالطبع بنفس سرور الضفدع الغبي .. لكنه سيشعر بالقرع طويلا حين أتحوّل بين يديه لكائن أخضر مقرّر .. الأصوات عالية بالفعل .. لا أنتبه لها إلا حين أقرر أن أنتبه .. بمعنى أنني أنسى وجودها حين أعتاد عليها .. أتذكر عندما قال لي أحمد كيف تستطيعون النوم من صوت القطارات المزعجة التي تمر طوال الوقت .. يتخيل أنني أستيقظ مفزوعة عند كل قطار .. ولكن هذا لا يحدث أبدا .. لأنني لا أشعر بمرورها على الإطلاق .. أنتبه لها نادرا .. حين أكون أتحدث في الهاتف مثلا ويمر واحدا فلا أستطيع سماع محدثي بصورة جيدة .. وهكذا الأمر مع الضفادع وموتور المياه .. أقصد الضفادع فقط .. لأن الموتور توقف أثناء حديثي عن القطارات وانتبهت لهذا .. أشعر أنني ثرثرة .. ولكن هذا لا يهم نهائيا .. لأن من يشعر بالملل يستطيع أن يغلق الصفحة .. يرميها من يده بكل بساطة ... عن ماذا كنت أتحدث .. أه عن مزاجي وذاكرتي التي تمشي للواء كسريط فيديو .. لا أفكر في شيء ولا أنتظر أحد .. لا أشعر بالامتلاء أو الفراغ أو الضجر .. أبكي دون اسراف .. وهذا غريب .. لأنني حين أبكي .. أنوب كلي وأمطر دفعة واحدة .. بالأمس في أول اليوم يقول أبي عني بغضب وصوت هادر أنني مريضة نفسيا وأحتاج للعلاج .. قال هذا فجأة دون أن أفعل أي شيء .. كنت جالسة في غرفتي وسمعت الصوت الغاضب حتى أنني لم أظنه لي .. لم أبك .. لكنني ذرفت عدة دموع قليلة وانزويت بعدها لا أخطب أحدا .. حدث هذا مرة ثانية أثناء جلوسي بجوار أحمد اليوم .. عيني اليمنى تذرف ثلاث دموع .. واليسرى ناحيته لا يلوح بها أثر الدمع .. هذا مضحك حقا .. لأنني وقتها كنت أريد بكل قواي ألا أبكي أمامه .. وحدث هذا بقوى خارقة وساحرة مني بالطبع .. لن أعتبرها مصادفة على أي حال لأنني أحب أن أصدق في نفسي سحر خاص .. أمي لم تر دموعي أيضا .. لكنها بعد أن قاطعتني ليوم ونصف دون أي سبب واضح تأتي وتبالغ في الحنان بصورة فجائية .. كأنها أشفقت عليّ من غضبة أبي .. تدلّني وتلج عليّ في أخذ الدواء .. تحدثني عن الطقس وخطتها للأسبوع القادم وأيام امتحاناتي .. تدخل عليّ غرفتي وأنا نائمة وتضع يدها على جبهتي لتطمئن على درجة حرارتي .. أتركها تفعل كل هذا دون أن أنقبه .. ألومها في داخلي على جفائها معي ليوم ونصف كنت أحتاجها فيهم أكثر من أي وقت .. كتبت مرة "أنا في تعبى صبية فقيرة" .. أكون في التعب أقرب إلى البكاء .. هشة كآنية على الحافة على وشك السقوط .. أحتاج أن يعاملني أحد بالمس .. كأنني ثلج مبشور في راحتيه عبثا يحاول إبعاده عن الشمس كي لا يذوب .. يوم ونصف أو ما يقارب اليومان كانت غادة هي الشخص الوحيد الذي شعرت به .. كومضة أضاءت عتمة روعي لثواني واختفت .. لم أرد بعدها أن أهاقها وأبحث عن ومضات إضافية .. لأننا كنا اتفقنا على المذاكرة لست ساعات متواصلة .. خشيت أن أنبطها .. فتواريت في لحن شقي وكتبت في الفيس بوك : "محرومة من الضوء .. وأغرق في عتمة ظلي" .. أتكوم على سور الشرفة وأنام .. أستيقظ على وقوع .. حين سقطت في الحلم وشج حجر رأسي .. و تكسرت أطرافي ومت .. أفتح عيني بهلع فأعرف أنني لم أقع .. أتفقد ذراعيّ ورجليّ .. سليمة وخالية من الخدوش .. أنزل من على السور دون أن أتأكد تماما من أنني حية .. أنزل خشية تحقق الحلم .. أركل كرة أخي في طريقي للداخل فأراها ترتطم بالجدار .. أدفع الباب الموارب بيدي فيفتح على آخره .. أشرب كأس ماء وأضعه فارغا على الطاولة .. أنفخ في الورقة المجاورة للكأس فتطير .. أتأكد أنني حية من أثاري لا من حياتي ..

يكفيني هذا وأذهب للسريـر .. أعجز عن النوم وتلج على رأسي الناجي من الحجر فكرة الموت .. لا أريد أن أموت بالطبع لكنني فكرت أنه بما أننا جننا الحياة دون اختيار ألا يحق لنا على الأقل إذن أن نختار طريقة موتتنا ومكانها .. حسنا لن يحدث هذا لذا سيد عزرائيل تذكر فقط أنني لا أريد الموت في المستشفى ولا في الظلام .. قلت هذا ونمت في الظلام لأن الكهرباء كانت مقطوعة .. نمت بخوف صغير وأنا أردد كلمات درويش: "هل الموت نوم طويل أم النوم موت قصير؟" .. نمت بـ روح قلقة ورغبة بالبكاء تشبه الانصهار والانفجار والثورة ... يااه .. أنا كنت "بستعبط" جدا حين اخترعت حكاية شريط الفيديو هذا .. لأنني أعرف أسباب مزاجي السيء جيدا ولا أحتاج للمشـي بظهري لأتعثـر في سبب صغير .. صغير جدا حدث دون أن أنتبه له وضايقتني .. لا يهم .. سأجاهل هذا وأكمل ///

أتذكر الآن المرة التي قلت فيها لغادة _ستقول غادة هنا "يوووه .. ماوراكيـش غير سيرتي" .. وسأرد: "يعني هيا سيرة أبو زيد الهلالي؟! _ المهم أتذكر المرة التي قلت لها فيها لو كنتِ تمتلكين المقدرة على تغيير مالا يعجبك في كل شخص حولك ماذا كنتِ ستغيرين في وفي غيري" .. سألتها هذا السؤال في وقت كنت مستسلمة كثيرا لقدر ليس قدري ولا أحاول القبض على حياتي التي كانت تفر من بين أصابعي كذرات الرمل وتضيع .. قالت: "كنت هخليكي أجمد من كده شوية" .. واصلت تقول كيف سيمكنها أن تغير العالم حولها كما يشتهيـه قلبها .. أحاول أن أسأل نفسي الآن السؤال ذاته لشعوري أنني راضية بالعالم حولي لدرجة بائسة .. ولا يشتهي قلبي أي شيء .. أنا التي أحب التغيير والتجديد والزيادة والنقصان ولا أستمتع بالأشياء رتيبة جامدة .. أحب أن أرتفع وأنخفض وأتموج كبحر .. لا شيء يخطر ببالي .. أشعر فقط أنني بحاجة قصوى للإيمان ... أسمع بكاء الحوت الذي سبحت أمامه ورفض أن يبتلعني لأن الله لم يأمره بهذا .. يبكي لأنه جائع وأنا صيد لا يراوغ ولا يفر ويصيح في وجهه: "أنا أمامك لماذا لا تلتهمني؟! " الله لم يأمره أيضا بالتهامي .. يريد أن يمهـلني وقتا أطول .. ربما للتوبة .. وربما لارتكاب ذنوب أكثر .. ومن اقترف كل هذه الذنوب مثلي بحاجة قصوى للإيمان ... أتمنى بشدة الآن أن أكون ضفدعة تحيا بلا ذنوب وبسرور غبي .. وبإمكان الحوت أن يبتلعها أو يلتهمها دون تردد .. ولكن هل توجد ضفدعة في محيط لا يطل على حقل أرز أو حوت في ترعة لا تطل على محيط؟

سر !

أشعر بصدق شديد وأنا أستمع الآن إلى موسيقاك المفضلة .. و لا أفهم كيف بإمكان قطعة موسيقى أن تكون صادقة جدا ؟!

كأنني أخطو إلى حديقة في السماء سبقتني إليها مرة و زرعت فيها البرتقال والأمل و أوصيت النجوم أن تضـيء في جيبني حين تميل أنت عليّ توشوشني بالأسرار كلها علني أبادلك سر صغير جدا بحجم كلمة واحدة أنطقها فيحمر الورد والتفاح و وجنتي و قلبي و دمي وتتلون الحديقة من أقصاها إلى أقصاها بلون الخجل في وجه فتاة ريفية قلبها يدق كثيرا .. ويرتبك !

وأتاريني .. ماسك الهوا بإيديا .. ماسك الهوا !

“زي الهوا يا حبيبي ... زي الهوا ... وآه من الهوى يا حبيبي ... آه من الهوى”

تخترقني الأغنية ببطء وهي تعيد نفسها للمرة الثانية ... أسمعها دون أن أدوب في رومانسيتها وإنما أفكر في الأشياء التي تشبه الهواء حولي .. الأشياء التي تحيط بي وتلاصقني تماما ولكن بمجرد أن أحاول مسكها وإحكام قبضتي عليها تفر و تنزلق من يدي ... تهزول مبتعدة وهي تمد لسانها في وجهي .. وتطلق ضحكة مأكرة عابثة معناها: “وعليكي واحد !!” ..

أتذكر الآن صديقتي التي عرّفتني من فترة قصيرة على صديقة لها .. تحدثت بعدها مع صديقتها هذه مرات قليلة جدا ومقتضبة للغاية .. واليوم تخبرني صديقتي: “بنقول عنك طيبة وعسولة وان هي حبتك” .. لم أرْد وأقل نفس الشيء عنها كما كان ينبغي أن أفعل .. وإن كنت حتى شعرت في داخلي به .. إلا أنني لم أعد كالسابق أحكي انطباعاتي الأولى وأفصح عن أحكامي السريعة .. ثمة فارق شاسع بين الشعور بشيء .. والنطق به .. النطق والاعتراف يحوِّله إلى واقع وحقيقة حتى وإن لم يكن كذلك .. يتحول الأمر إلى قناعة .. ويغدو تغييره صعبا ومؤلما بل وصادما في كثير من الأحيان كالمرّة التي تسرعت وصدقت فيها أنني أخيرا حصلت على جو العائلة الذي أريده .. على بنات عمومتي اللاتي تحولنّ إلى صديقات مقربات بإمكاننا أن نثرثر ونضحك ونبكي ونسافر ونمرح ونروح ونجىء معا ... ولكن في لحظه واحدة تلاشى كل هذا ... تبخر كأنه لم يكن .. وتألّمت فقط لأنني تسرعت في التصديق والفرح .. فاض بي .. وإن كنت لم أتعلّم الدرس في مرات كثيرة سابقة فلأن الجرح في كل مرة يكون أكثر اتساعا و أشدّ ألما و وجعا .. تماما كأقراص الدواء التي كنت في البداية أبتلعها بصورة طبيعية مع صعوبة ضئيلة جدا .. صار ابتلاعها يزداد صعوبة في كل مرة منذ أربعة أسابيع وبالأمس أخبرت أحمد عن مغامراتي أثناء ابتلاعها .. أضع القرص قرب حلقي .. وأشرب الماء سريعا عليه ... ولا ينزلق ... تزداد مرارته وتكاد تجبرني على التقيؤ .. أرغم نفسي على المحاولة ثانية بوضعه تحت لساني .. أدفع برأسي إلى الوراء كأنني ألقى بالقرص في جوفي .. دون فائدة أيضا .. أخرجه وأرميه بعنف في صندوق القمامة بضيق بالغ .. أفتح قرصا آخرأ وأضعه داخل كأس الماء ليذوب ثم أنوي شربه دفعة واحدة .. أغمض عيني بقوة وأنا أضع طرف الكأس على شفّتي .. أجبر نفسي على رشف بضعة قطرات .. مرّ .. مرّ .. مرّ إلى أبعد حد ... أضع عليه ملعقتين من السكر وأقلب .. يصير طعمه أبشع .. بالنهاية أسكبه في الحوض .. وأقرر إعادة المحاولة بعد ساعة أو ساعتين ريثما أرتاح قليلا من المحاولة الأولى !!

ما أردت قوله أنه مع الألم لا يوجد ما يسمى بالتعود ... الأمر يزداد سوءا في كل مرة .. الانطباعات والأحكام والأراء السريعة غالبا ما تضيع كلها وتتلاشى كما يتلاشى الهواء من قبضة اليد .. ولا يتبقى من الغنوة الحلوة .. إلا الدمع يا حبيبي!

“وأتاريني .. ماسك الهوا بإيديا .. ماسك الهوا .. وآه من الهوا يا حبيبي آه من الهوا ” !

ويكبر في دمي ألف أرنب مذعور !

- ما الذي يحدث لي إذا خفت ؟

- ببساطة ، يكبر في دمي ألف أرنب مذعور ، وأهرب . *

ما الذي يحدث لي إذا خفت ؟ .. ما الذي يحدث لي إذا خفت ؟ ... ما الذي يحدث لي إذا خفت؟
.. ظل السؤال يتردد في رأسي باستفزاز أول ما قرأته .. حد أنني عجزت بعده عن متابعة
القراءة .. أنا لا أعرف ما الذي يحدث لي حين أخاف ... وهذه إجابة تجعل السؤال أكثر
استفزازا .. كأن شيطاننا يقف خلف أذني .. ولا ينفك يكرره.. ضغطت بأطراف أصابعي على
جانبي رأسي كمحاولة للتركيز مع كل هذا الصخب ... ولم أفلح !

لحظة لأخذ نفسا طويلا حسنا ...

حين كنت بالصف الثاني الإعدادي وبالتحديد في أجازة الصيف الذي تلتته.. استمعت إلى
محاضرة نفسية تابعة لبرنامج ترفيهي بالمدرسة أجبرتني أمي على حضوره ... أتذكرها الآن
كظلال باهتة في قلب إضاءة خافتة .. كتب المحاضر على السبورة .. ” FEAR ” قال أن هذه
الكلمة هي حروف مختصرة لجملة “False Evidence Appearing Real” ... أي أنه شعور
خاطيء يبدو وكأنه حقيقي .. لم أفكر في صحة هذه الجملة من عدمها .. كنت أومن وقتها أن كل
ما يقوله الكبار صحيحا ... وكل ما علينا نحن الصغار أن نصغي ونتعلم .. وربما لهذا تظل
الاعتقادات التي نتلقاها في الصغر ثابتة بداخلنا إلى النهاية .. حتى ولو عرفنا فيما بعد أنها
مجرد هراء .. نظل نؤمن بها مهما كلفنا الأمر .. ما يهم أن هذه العبارة لم تشغلني كثيرا وقت
عرفتها .. إلا أنها ظلت تخطر على بالي في كل مرة ينفذني فيها الخوف ويهز كوني بأكمله
.. فأستمر أردد :” هذا ليس حقيقي .. هذا ليس حقيقي!” .. بالضبط كما كنت أفعل ذات حلم قريب
.. أقصد كابوس قريب كنت مفزوعة وأردد :”أنا عارفة ان أنا بحلم .. أنا عارفة ان أنا
بحلم” .. ذهبت لأمي في الحلم ورجوتها أن تصفني لأستيقظ .. لكنها تجاهلتني ولم تفعل ..
ذهبت لكل من أعرفهم ويمثلون الأمان لي أرجوهم أن يفعلوا شيئا لأستيقظ ... ولكن لا أحد
يلتفت لي .. كأنني لست مرئية .. كأنهم لا يأبهون ... كأنني عييي بأنني أحلم ليس كافيا ... تماما
كإيماني بأن الخوف ليس حقيقيا .. لا يجدي وقت الهلع !

من حوالي شهرين أو ثلاث .. شاهدت فيلم “case 39 ... الفيلم عن فتاة لا تخشى أي شيء بالعالم .. أي شيء .. وتمتلك قدرات خارقة تمكنها من قتل من تريد عن طريق أكبر مخاوفه .. تتوحد إلى ضحيتها كثيرا أولا .. بلطف ودهاء حتى تعرف منها الشيء الذي تخافه أكثر .. ثم تستخدمه كسلاح في جريمتها ... مثلا حين عرفت من المحقق النفسي أن أكبر مخاوفه هو الدبابير .. فجعلته يتخيل جيوش دبابير تخرج من كل مكان .. من الفتحات في الحمام .. من الباب .. من اللاشيء .. تدخل وتخرج من أذنيه وفمه .. تسير تحت جلده .. أخذ يصرخ ويتنفذ .. يتخبط في كل مكان بعنف وجنون حتى شجّت رأسه ومات !! ... باختصار هي تكتشف عفريت كل شخص وتظهره له ... وما يقتله هو الخوف وليس العفريت المُتخيل الغير موجود أصلا ... وربما هذا يؤكد أن الخوف ليس سوى عفريت غير موجود يبدو وكأنه حقيقي !

هذا يدفعني لأن أنساءل الآن عن أكبر مخاوفي وعن شكل عفritي؟ .. لا أعرف هل يجب على أن أقول أنني لا أخاف إلا الله .. كإجابة سهلة ينطقها الجميع طوال الوقت ؟ ... فلماذا إذن أعصاه وأبالغ في العصيان إن كنت أخافه فعلا .. وإذا كنت لا أخاف من الله .. فمن ماذا سأخاف ؟؟ ... هذا يذكرني بقول “الفضيل بن العياض” :

“إذا سألك احد : هل تخاف الله؟

فاسكت !

فإنك إن قلت نعم كذبت !

وإن أنت قلت لا كفرت !

لذا سأسكت أو سأحدث عن مخاوف بشرية عادية وتافهة كالثعابين والدبابير وغيرها .. وإن حدث وظهرت لي فسأردد سريعا : “هذا ليس حقيقي ... هذا ليس حقيقي !” قبل أن يكبر في دمي ألف أرنب مذعور ... وأهرب !!

.

* من رواية “الآخرون” لـ صبا الحرز

نحن عميان نستطيع أن نرى !*

يا الله....أصدقائي كلهم يحدثوني عن تناقضاتهم بعد أن أخبرتهم عن أجازتي القصيرة تلك ..أصواتهم في رأسي الآن ... ولا أستطيع أن أشعر بشيء مطلقا في هذه اللحظة ..أفتح عيني في قلوبهم ..أفتح عيني في العالم .. انظر ..وأحاول أن أرى ...ولا أرى ..لا أستطيع أن أفهم ما أنظر إليه ...حقيقة العالم لا يستوعبها عقلي جيدا ..وحقيقة القلوب تدوخي ..كيف يا الله خلقت كل هذا التناقض في عالم واحد؟ ...كيف اجتمع الليل والنهار معا في لحظة كسوف هائلة غطت الكون واستمرت إلى الملائنهاية ..أبحث عن شيء واحد واضح ..شيء واحد أستطيع أن أصبح فور أن أراه وأقول ..”هذا أبيض“..”هذا أسود“ ..ولكن كيف أستطيع أن أفعل وأنا الجميلة جدا كلوحة فنية نادرة رسمها فنان قبل أن يموت مباشرة في منزل ريفي صغير ..والبشعة جدا كالعفريته زرمباحة حين تطير لتحط فوق جبال قاف ..كيف أستطيع أن أفعل وأنا الطفلة التي تأكل الكريمة وترتدي الفساتين القصيرة والأساور ..والعجوز التي تكسو التجاعيد قلبها لأن الساعة في معصم ملك الموت فرغت بطاريتها وتوقفت من زمن ...كيف أستطيع أن أفعل وأنا المرحلة جدا كسطور الغرام في خطابات الحب تلك التي بعثتها بنيلوب لأوديسيوس ..والكئيبة كخطوط التقطيب في جبهة الحزن ..كيف أستطيع أن أفعل وأنا البتول التي لم يمسسها بشر ولم تكن بغيا ..والمرأة التي أنجبت العالم ذات حلم وسماء غائمة وصوت يقول :”وااااااااااا“ ..أنا الفاضلة كزوجة نبي ..واللعوب كامرأة العزيز..كيف أستطيع أن أفعل وأنا العاشقة كليلي وعبرة جوليبب وايزابيلا ..والخالية كطفلة لم يدق قلبها لرجل بعد.. ولا تحب سوى حضن أبيها .. وشكل دميتهما ..كيف أستطيع ان أفعل وأنا بدايات الأشياء جميعا ونهاياتها ومفترق الطرق واجتماعها وضياح المرشدين على حواف الدروب ..أنا لحظة الكسوف والخسوف والشروق والغروب والدم الذي يضخه قلب العالم ..أنا كل هذا وأكثر وكأنني ذرات غبار جاءت من كل مكان في الكون لتكون “دعاء” حتى يكون السؤال : كيف ياالله خلقت كل هذا التناقض في دعاء واحدة ؟ ...وكيف بعد هذا كله لا تستطيع هي أن تقول “هذا أبيض” و “هذا أسود” !

ملل !

وأنا أجلس أمام الشاشة أتابع الأرقام المتزايدة .. ١% ... ٢% ... ٥% ... ٩% .. ١٥% ..
١٧% ... ٢٢% ... ٢٨% .. يتوقف التحميل لخطأ في الملف .. أزفر بحنق .. أراقب
الأصدقاء .. أون .. أوف أون ... أوف .. تنقطع الكهرباء ... وأتحول أنا إلى "أف" طويلة
جدا ... أبحث عن شيء آخر أفعله .. أمسك ديوان "أزهار الشر" .. "بودلير" .. وأبدأ القراءة :

أنا غرفة انتظار عتيقة

ملئية بالورود الذابلة

يملئها خليط عجيب

من أزياء فات زمانها

ولا يتنفس فيها عبير عطر مسكوب

إلا الرسوم النائحة

ولوحات بوشيه الشاحبة *

وتحت الأبيات يتحدث "سارتر" عن فكرة الضجر عند "بودلير" .. أندesh جدا .. لأنني لم أكن
أعرف مسبقاً أن الكتاب سيتحدث عن مزاجي الحالي ولهذا تناولته .. أندesh أكثر لأن الديوان
ممتلىء بعواطف لا أول لها من آخر .. وأتساءل كيف يتصادف أن أفتحه الآن بالذات .. على
هذه الصفحة بالذات .. أتذكر ولاء وهي تقول " لا شيء يحدث بالصدفة حقاً " .. وأنا المفتونة
بالصدف أصلاً .. المفتونة بها حد أنه حين تحدث واحدة فأنا أعيد كل شيء في رأسي من البداية
بحاجب مرفوع وتأمل مذهول بأسبابها !

من حوالي أسبوع عاهدت الله بشيء .. وكان هذا سر صغير بيني وبين ربي .. وفي الأيام
التالية لهذا العهد صار الشيطان يوسوس لي كثيراً كي أنقضه .. حتى اللحظة التي فتحت فيها
المصحف لأقرأ وردي اليومي .. وقع بصري أول ما فتحته على الآية : "وأوفوا بعهد الله إذا
عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون" ... هل
ثمة ما يسمى صدفة إذن .. لا أعتقد !

أفتح الديوان مرة أخرى .. أتابع القراءة :

كل الوحوش التي تدمدم وتزمرج وتزحف

داخل نفوسنا الأسنة الوضيعة

هناك واحد هو أشدها دمامة وخبثاً

وهو وإن كان قليل الحراك .. ضعيف الصوت

مستعد بجولة واحدة أن يصنع من الأرض أنقاضاً

وبتثاؤب واحد أن يبتلع العالم

إنه الضجر الذي يحلم بالمشقة وهو يدخن نرجيلته

وفي عينيه تلتمع دمة لا إرادية

أنت تعرفه أيها القارئ .. هذا الغول الناعم

أيها القارئ المرئي _ياشبيهي_ .. يا أخي !*

هذا الوحش يتلبسني الآن .. يتثائب وهو يشفط الهواء من حجرتي .. يحلم أيضا بشفط مياه كل حمامات السباحة في العالم أجمع ... يحلم بأن ينفث على فراغ أرضياتها أوراق الشجر اليابسة .. الأوراق التي نسيت من فصول طويلة كيف يكون شكل العصفور المرح !

! A voiceless song in an ageless light

٢٩-٨-٢٠١٠

حين تجد روحك فارغة من كل شيء وأنت صامت تماما .. لا شيء بإمكانك أن تقوله على الإطلاق .. يكون هناك الكثير ليقال .. وأنا على هذا الحال منذ بضعة أيام .. تقريبا لا أتحدث إلا معك في الهاتف .. وبقية الوقت أكاد أكون صامتا تماما .. ولأنك اليوم كنت غائب أكثر من اللازم .. فأنا كدت أنفجر بصمتي .. لا .. لم أقارب الانفجار نهائيا .. على العكس .. أنا هادئة جدا بما يدعو للريبة .. لا أفكر في الموت كما كتبت من قبل .. لكنني أفكر في الانتحار دائما .. الانتحار فقط .. دون سبب واضح .. دون أية تعاسة أو عذابات .. الفكرة لا تفارق رأسي .. تلح عليه دون يد لي في هذا .. ودون أي نية بالإقدام عليها نهائيا .. هي موجودة وكفى منذ قليل وقفت على سور الشرفة .. العشرة سننيمترات الوحيدة في هذا العالم التي أرتاح جدا في الوقوف عليهم .. وتنهاني أنت وأمي عن هذا .. أمي تصرخ في وتوبخني وتهددني بحرمانني من المكوث في الطابق العلوي ثانية .. وأنت تهددني بزعلك .. وأنا لا أعد كليكما بالابتعاد عن الشبر الوحيد في الكون بأكمله الذي يخصني وحدي ولم يقف عليه غيري .. وقفت ظهري للخارج .. ووجهي لجدار الشرفة حتى إذا زُلت قدمي فأموت وأنا أنظر إلى السماء وإلى العلو الشاهق الذي حلمت دائما أن أتسلقه .. أميل بجسدي للوراء .. واجدى يداي متشبثة بفرع نحيل جدا من شجرة العنب التي تتكئ على واجهة منزلنا .. الفرع أنحل من قلم رصاص وضعيف للغاية .. لكنه يشعرني بالأمان الذي احتجته جدا في هذه اللحظة ويجعلني أفكر أن الأشياء ليس عليها أن تكون قوية جدا لتأمنا .. وأن الأمان في النهاية ينبع من داخلنا نحن !

الحقيقة أنا لا ينقصني أي شيء لأكون أسعد مخلوقة على وجه الأرض .. وأنا كذلك فعلا .. ولكن كيف أتغلب على رأسي التي تود هلاكي .. أشعر أن جسدي تسكنه روح خاسرة ..

خاسرة جدا .. والشيء الوحيد الذي نجحت فيه هو السيطرة عليّ تماما حكيت لك قصة الريشة السوداء قبل قليل .. هل بعد هذا كله غريب أن أعثر على ريشة سوداء .. وهل لازلت تشك أن الريشة طارت من قلبي .. أنا متيقنة من هذا !

الأدهى أن رغبتني برمي روحي تلك تقترن برغبة سيئة أخرى .. وهي الاستماع إلى أغنية "the mystic's dream" حينها .. في كل مرة أتخيلني أموت أسمعها تدور في رأسي ولا تتوقف عن الدوران .. وبالمناسبة .. أنا لا أفكر في الموت بمعناه الكامل .. لا أفكر في انتهاء حياتي وفنائي وقبري وحسابي وآخرتي .. أنا أفكر في احساس الروح لحظة اجلها فقط .. أو قبل هذا مباشرة .. لا أفكر في أكثر من هذا إطلاقا .. !

هل أنا مذنبه جدا؟ .. نعم أنا مذنبه وسيئة جدا..... وأحبك .. ورغم كل هذا أحبك جدا .. أحبك بجنون غبي ... حد أنني حين وقفت على السور ورغبت باللقاء روحي .. فكرت أنني أريد أن أموت وأنا أفكر بك .. وأن المسافة بين الطابق الثاني والأرض ليست كافية لأتذكرك كلك .. نظرت إلى أعلى ورأيت طائرة بعيدة للغاية تومض وتنطفئ بتتابع منتظم .. تمر من فوق السحاب بقليل وربما من داخله .. وجدت أن السقوط من عليها أجمل .. ويكون الوقت بين قفزي في الهواء ووصولي إلى الأرض ممتعا للغاية .. وكافيا بأن تمر صورك الكثيرة أمام عيني .. وبأن أتذكرك وأنت تخبرني أنك تحبني وتذوب بي .. الطائرة تمر بجوار نجمة .. تشبهها تماما دون وميض ثابت .. وتظهر أنها تمر بمحاذاتها وجوارها .. أنسى الطائرة وأتخيل علو النجمة اللانهائي .. وبتغيير صغير في الخطة يكون القفز من على سطح النجمة لا يقاربه وصف ويكون لا داعي لأن أقف ظهري إلى الفضاء .. ويكون الوقت كافيا بالكاد لأن أتذكرك كلك .. لأنك الرجل الذي لا يحصى كما تقول عادة السمان ..

أنا أحبك بطريقة لن تتخيلها مطلقا .. وأعرف أنك أيضا تحبني جدا .. لأنك حين وقفت معي في الشرفة كدت أحدثك عن كل هواجسي تلك وقلت: "تفكر هيصل إليه لو رميت نفسي من هنا؟" .. أجبت: "هموت" .. ظننتك لحظتها لم تسمعي جيدا وأعدت السؤال: "لو أنا أنا رميت نفسي" .. وكررت أنت: "أنا هموت" .. وأنا التي أظن نفسي أفهمك دائما .. ليس من المرة الأولى فقط .. وإنما دون أن تتحدث أيضا .. فهمتكم هذه المرة .. من المرة الثانية !!

٢٠١٠-٩-٣

كنت غارقة في سحابة من السكينة .. بهذه الدرجة من الإيمان التي تجعلك تعيش وعلى شفيتك ابتسامة صغيرة صافية .. وفي عينيك نظرة تفاؤل ... رأسي خال من الأحلام المزعجة التي تعتريني دائما .. وفي داخلي يقين أنني حين أنام بعد قليل لن أحلم بكوابيس كثيرة ككل ليلة

صليت الفجر .. وقرأت في المصحف قليلا .. وجلست بعدها أسبح الله وأردد كل الأدعية التي سمعتها وحفظتها يوما .. قرأت دعاء سيدنا جبريل مرتين بعد أن عرفت أن من يقرؤه قبل النوم

مباشرة يأتيه النبي المصطفى "عليه الصلاة والسلام" في المنام .. قرأته ثم أغمضت عيني وأنا أصلي على الرسول عليه الصلاة والسلام حتى اختفيت في النوم تماما ..

ولم يتغير شيء .. لم يتغير أي شيء .. كان نوما ممثلاً بالأحلام المزعجة والكوابيس الشريرة إلى أقصى حد .. واستيقظت من النوم على مشهد كل العروق في ذراعي نافرة جدا .. وأحد يناولني شيئاً حاداً ويأمرني بقطع عروقي كلها !!

حتى في النوم لا يفارقتي هذا العذاب !

يا ورد على فل وياسمين !

قررت أن أصنع باقة ورد لأمي بمناسبة عيد ميلادها .. أخذت مقص الشجر من درج في المطبخ .. و واريته أسفل قميصي وأنا خارجة لأن أُمي كانت تجلس في الصالة وأنا أردت أن أفاجئها .. بدأت أقص الورد و أقطف الياسمين وأكومه فوق بعضه بسعادة .. أعرف ان أُمي تعشق الورد والزهر مثلي .. هي التي أقنعت أبي بشراء هذا الشجر .. رأيته أول أمس بـ"الجنينة" تنثر بذور ريحان بجوار شجر "الفيسكس" الذي زرعه مؤخرًا .. تبحث طوال الوقت عن نباتات جديدة سهلة الزرع والرعاية .. وتستشير "سمسم" بائع ومختص نباتات الزينة في القرية .. تجمع الياسمين في الصباح .. تروي النعناع وشجر التين بعد العصر .. وتجلس أول الليل بجوار شجرة الورد البلدي المتدلي على الشرفة .. تعيش أيامها كفراشة ملونة تنتقل بين الأخضر و ألوان زاهية أخرى .. أمضي خلفها وأنا أحاول لمس جناحيها و وتعفير أطراف أصابعي بألوانها .. أبتسم وأنا أتذكر كل هذا أثناء تقليم الشوك من الأفرع .. أفكر في حلمي القديم .. في طموحي بأن أصبح بائعة ورد بإشارات المرور .. أضحك وأنا أتذكر أحمد حين أخبرته بهذا الحلم فقال: "وايه اللي حصل .. مجموعك مجابش؟! " .. أتخيلني هذه اللحظة الفتاة بائعة الورد التي طالما حلمت بأن أكونها .. الفتاة التي تقطف الورد الطازج وتقدم شوكه .. ترش المياه المسكرة فوقه كقطرات ندى وترتدي فستان مزركش قديم ومنديل تربط به شعرها .. تتجول بين السيارات أثناء الإشارة الحمراء وتقرب من النوافذ نصف المفتوحة وهي تقول: "خد وردة يا بيه .. خدي فلة يا هانم" .. تشاكس: "وحياتك انت ماتكسمني خدك عودين دا أنا اسمي نرجس ... والله إن ما كنت تنفعني لأزعق وأقول راجل مفلس" .. تذهب إلى الكورنيش آخر الليل وتغني للعشاق: "خدك هدية لحبيبك ده الورد ده زينة الجنان .. تخليها تنوه في ريحتك وتبقى من ضمن الزباين" .. ترجع إلى غرفتها الصغيرة في نهاية اليوم بقدمين يؤلماها من كثرة المشي وجنيهات قليلة مكرمشة تخرجها من جيب الفستان وهي تحاول فردها وتضعها في حصالة صفيحية صغيرة تشبه حصالة لبلبة حين كانت تغني ونحن صغارا: "حصالتي ليها قرش .. يتحط فيه القرش .. ويقول ما تتكسرش .. هفضل طول عمري قرش .. وأحط ثاني قرش .. وقرش على قرش وأنساه ومفتكرش .. دا كبير ولا مكبرش .. دا كبير ولا مكبرش" .. تخبيء الحصالة وهي تستلقي على ظهرها وتتخيل محل زهور صغير تملكه بالنهاية .. بألوان جدران صاخبة وعدد من الزهور لا أول له من آخر .. حين تكون أخيرا قد حققت غاية آمالها!!

أنتهي من التقليم وأنا أزيح الذكريات والأحلام جانبا وأبحث عن "تول" ..ألفه حول الورد ..
أنظر لكل باقات الورد التي أهداها أحمد لي .. الشيطان يوسوس لي بقص جزء صغير من
الشرائط الملونة والتول .. أستعيز بالله منه وأنا أتذكر افتراسي لأخي الصغير حين فكر مرة أن
يلمس هذه الشرائط .. أتراجع وأقلب البيت رأسا على عقب حتى أجد أخيرا أجزاء شيفون أبيض
كنت قد احتفظت بها من بقايا هدايا سبوع أحد أقاربي ..أفرح بها جدا وألفها حول الورد ..
أذهب إلى الثلاجة وأسرق قطعة من الشريط الملون الملفوف على علبة التورتن ..أربطه حول
الباقية .. وأنتهي أخيرا بسعادة لا توصف .. أخبئه خلف ظهري وأتسلل إلى أمي .. يراني اخوتي
فيفقزون فوقى .. تخطفه شيماء من يدي وهي تقول : "دا حلو أوي ..هروح أنا أدبه لماما" ..
أصرخ وأستعيده منها بعنف .. أنسى التسلل وأجري إلى أمي به سريرا خوفا من قاطع طريق
آخر يحاول اقتناصه مني .. تفرح أمي به كثيرا كثيرا وتخبرني أنه رائع .. تضمني وتقبلني
فأنسى أحلام حياتي كلها ولا أحلم بأكثر من أن تأتي كل سنة وأمي طيبة وسعيدة وتشبه الفراشة
....أو الوردة !

وكلاهما يشهق آآح !

" شال صوف ومشروب دافىء وكى بورد وإضاءة خافتة .. ومقال يشع حرارة !"

هكذا نصحني !

حسنا !

إليك مني /

في منتصف فصل الشتاء تماما كانا معا .. السماء ممتلئة بالمياه وثمة ملاك يمسكها من طرفيها
ويعصرها ك كنزة صوفية فوق منزلهما الصغير تماما .. الرياح تضرب النوافذ بعنف ..
تعصف بالأشجار في جنون ...وهي تجلس أمامه على السجادة.. بين رجليه المثنيتان قليلا ..
تستند بظهرها على صدره وهو يحتضنها من الخلف .. يحاول تدفئتها بكل الطرق .. يضمها
بين ذراعيه طويلا.. ينفث في يديها كثيرا .. يمرر كفيه على كتفيها صعودا وهبوطا علّ
الحرارة تنبعث من تحت أصابعه .. وهي تكرر بصوت مرتجف وعابث : "لا أمل .. لا أمل" ..
تنهض من مكانها فجأة .. تلقي بالشال الصوف على طرف السرير .. تخلع كنزتها القطنية أيضا
وتذفها بجوار الشال .. تدور أمامه بـ بلوزة خفيفة بدون أكمام دورة راقصة.. يصيح فيها
:"ستموتين بردا" .. تبتسم بخبث وهي تخطو ناحية الثلاجة .. تفتح باب الفريزر وتخرج علبتين
آيس كريم مثلجيتين وتركض ناحيته بسعادة تاركة باب الثلاجة مفتوحا ومن داخلها تخرج " آآح"
طويلة .. يتناول الآيس كريم من يدها ويقرر فجأة أن يشاركها الجنون هو الآخر.. ينهض

بنفس ابتسامتها الخبيثة .. يدير التلفزيون ويضع فيلم "ice age" داخل الـ "DVD" ... تطلق ضحكة عالية وهي تمد يدها له كي يأتي ويجلس بجوارها لمشاهدة الفيلم معا .. يتجاهل يدها الممدودة ويمشي على الأرضية الباردة حافيا باتجاه باب الفريزر المفتوح .. ظنت للحظة أنه سيغلقه ويعود إلا أنه أخذ يفرغ كل مكعبات الثلج به في طبق كبير قبل أن يندفع نحوها ويضع الطبق تحت قدمها وهو ينحني للأمام ويطوح يده بحركة مسرحية: "ladies first" ... تضع قدمها اليسرى بالطبق بضحكة مرتجفة وجسد مرتعش ... يجلس بجوارها ويضع قدمه اليمنى أيضا .. يشهقان معا: "آآح" ... يضحك بعث: "أنت بدأت .. تحملي إذن!" .. تلتصق به وتقبله قبلة خاطفة: "أنا آسفة .. وأعتذر .. لننهي هذا" ... ينطق بصراصة مصطنعة: "قبلة واحدة لا تكفي يا هانم" .. تغتاظ منه .. تنحني على الطبق فجأة وتمسك مكعب ثلج بدأ في الذوبان وتلقيه على رقبته .. يرميه بعيدا في سرعة و ينتفض كله مع قطرة ماء باردة جدا ذابت من الثلجة وتنزل ببطء على جسده .. تهم بالإنحناء مرة ثانية ناحية الطبق لكنه يشدها بقوة إليه وهو يصيح: "حسنا .. حسنا .. قبلة واحدة تكفي" .. يدفع الطبق بقدمه بعيدا ... يضغط على زر الإغلاق في الريموت .. يجذبها إلى صدره وكلاهما يرتجف بشدة وضحك .. أطرافهما متمجة وأنفاسهما تتسارع وترتعش .. يلف الشال الصوف حولهما معا وهو يحتضنها بقوة .. يهمس بأذنها: "أحبك" وهي لازالت تشهق: "آآح!"

أنت ...

أنت الضوء الذي أيقظني في الليل وجعلني أجلس إلى شاشتي الآن وأكتب ..

أنت أيضا عصير الجوافة بالليمون الذي أتناوله الآن لأننا حين جلسنا في "أكسجين" آخر مرة وطلبته أنت .. امتعصت أنا في نفسي .. وتساءلت: "يعني إيه جوافة بلمون .. حاجه حلوة يعني؟" .. وبينما أنا أعده منذ قليل وسألني أخي عما أفعله أجبت بسرعه: "بعمل جوافة بلمون ... حلو أوي .. وبجبه" .. قلت هذا قبل أن أذوقه حتى .. قلت هذا وأنا أحبك أنت ..

أنت المشهد الذي يضحكني في فيلم "ألف مبروك" .. لأننا حين أنهينا مكالمتنا بعد الواحدة بقليل أدركت الفيلم حتى هذا المشهد وتخيلتنا نضحك عليه معا ..

أنت شرفة منزلنا التي لم أكتشف كم هي جميلة إلا بعد أن قضينا فيها ساعات طويلة معا نثرثر ونضحك وندوخ ويلفنا الرقص ونحلم بساعة إضافية أخرى ..

أنت الدخان الذي انتشر في غرفتي بشكل زخرفة لحظة أخبرتني أنك تختنق بهومك ثم نمت وتركتني وحدي أختنق أنا بدخاني ..

أنت بحيرة زرقاء ممتلئة بـ بط كثير مرح يعوم ويقفز ويركض على حوافها وهو يلتقط الحَب والعشب وبمجرد أن يراني يتجمع حولي .. بعضهم يشدني من الأمام وآخرين يدفعوني من

الخلف حتى أقع في الماء وأتحول إلى بطة مرحلة أخرى تتوجها أنت "ملكة البط" لحظة تهاتفني وتنطق بسعادة: "إزيك يا بطتي!"...

أنت أيضا فنجان الشاي بالنعناع الذي لم أحتمل أن أشربه أمس وناولته لأمي ..لأنه جعلني أشعر كم أحتاجك وأفتقدك ..ولأنه مر عام على مواعيد كثيرة بيننا وبينه ولأن طعمه في تلك اللحظة كان يشبه طعم وجودك ..ولأنك لم تكن موجود.. فأنا لم أطق كل هذا الفقد ...

أنت المطر المسحور الذي لمسني مرة فغدوت ينابيع ماء لا تتحسر ولا تجف ولا تنتهي ويشرب منها الخيل والطير والعاشقين ..

أنت الشمس والقمر والصبح ورائحة البرتقال وزهر عباد الشمس وأحلام الفراشات قبل أن تنتحر بالضوء وصوت النايات والغيم المسافر والريح الخفيفة والقوس قزح والياسمين أول الصيف وسلام العصافير وأغاني الحب والوجع الجميل وكأس الماء وطعم العنب وشكل البرق وانطلاق جناحين

أنت منزلي وسعادتي وحياتي وعمري و وجودي الذي لا يوجد إلا بك

أنت أنت .. ويكفي أنه أنت !